الدكتور عزت السيد أحمد

العرب جثة تنهشها الكلاب

مقالات سياسية

دار الفكر الفلسفي 2009

الدكتور عزت السيد أحمد

العرب جثة تنهشها الكلاب

بسم الله الرحمن الرحيم

الدكتور عزت السيد أحمد

العرب جثة تنهشها الكلاب

دمشق 2009م

دار الفكر الفلسفي

☆ الكتاب : **العرب جثة تنهشها الكلاب.**
مقالات سياسية.

☆ المؤلف : **الدكتور عزت السيد أحمد** .

☆ عدد الصفحات: ١٤٤ صفحة.
☆ قياس الصفحة: ب ٥ = ١٧ X ٢٤.
☆ تصميم الغلاف بريشة المؤلف.
☆ الطبعة الأولى: **٢٠٠٩م**.
☆ تمت عمليات التنضيد والإخراج في دار الفكر الفلسفي للدراسات والترجمة والنشر بدمشق.
☆ تمت الطباعة في دار الرفاعي بدمشق ومنها يطلب الكتاب على رقم الهاتف أو الفاكس التالي: ٠١١٢٢٢٥٩٥٩

☆ **الحقوق جميعها محفوظة.**

تمنع طباعة هذا الكتاب أو بعضَه بأيِّ وسيلةٍ من وسائل الطِّباعةِ والنَّشر والإعلام من دون موافقةٍ خطيَّة من النَّاشر أو المؤلِّف.

☆ النَّاشر: **دار الفكر الفلسفي.**

الإهداء

إلى من بقي من العقلاء المخلصين
في أمة العرب

مُقَدِّمَة

أول ما تجب الإشارة إليه في هٰذا التَّقديم هو أنَّ فصول هٰذا الكتاب في الأصل مقالاتٌ سياسيةٌ كتبت ونشرت ما بَيْنَ عامي ٢٠٠٥ و٢٠٠٩م في مناسبات متعدِّدة مرَّت وتمرُّ بها أمتنا في السَّنوات الأخيرة.

الحقيقة الأولى التي أقرِّرها من خلال هٰذه الأحداث وتحليلاتها أنَّ الحال التي تعيشها أمتنا العربية والإسلامية أيضاً هي التي استدعت هٰذا العنوان الفج: العرب جثة تنهشها الكلاب.

والحقيقة الثَّانية التي نستنتجها من هٰذا الواقع وتتابع وقائع العرب طيلة ما انصرم من هٰذا القرن ليسوا أكثر من ريشةٍ في مهبِّ الرياح تتقاذفها الأمم والشُّعوب وحَتَّى الشَّركات بل وحَتَّى أيضاً الأشخاص. ولذلك فإن الأحداث التي تكررت وتتكرر في تقزيم العرب والتَّلاعب بهم سلسلةٌ طويلةٌ... كانت وما زالت

تحدث بالطَّريقة ذاتها من الاستغباء والتكالب. وأظنُّ أنَّها ستستمر وربَّما تزيد أكثر طالما أنَّ الشَّعب العربي والحكام العرب بهٰذه العقلية.

هٰذه نقطة الانطلاق؛ **مشكلتنا هي نحن**. هٰذا عنوان المقال الذي آثرت أن أجعله أولاً في سلسلة فصول هٰذا الكتاب. فمخطَّطات الغرب بمختلف أشكالها وألوانها وأنواعها... كانت وظلت ولم تزل قائمةً على قدمٍ وساقٍ منذ مطالع القرن العشرين على الأقل بمختلف السبل الممكنة والمتاحة ولم يتغيَّر شيءٌ حَتَّى الآن.

والسُّؤال الذي يفرض ذاته الآن هو: إذا كان الغرب يفعل ما يفعل لتحقيق مصالحه فماذا فعلنا ونفعل نحن؟

الأمة العربيَّة بشعوبها وحكامها وجامعتها تبدو بوضوح وجلاء عاجزةً عن إجارة من يستجير وعاجزةً عن حمل الأمانة، وعاجزةً عن إيصال الرسالة والأمانة... عاجزةً بكلِّ معاني العجز حَتَّى بات من الممكن القول إنَّها أضعف من كسيح كسير أخرس على باب متجبِّرٍ لئيم.

الغرب يحمِّل العرب والمسلمين كلَّ مشكلات الوجود البشري، والعرب يسمعون ويقولون سمعنا وأطعنا غفرانك أيها المجتمع الدولي، ويقومون بمحاربة أنفسهم نيابةً عمَّا يسمى المجتمع الدولي.

الغرب يخطِّط للعرب كيف يعملون وكيف يسوسون وكيف يتوافقون وكل ذٰلكَ بقوانين ما أنزل الله بها من سلطان، ولا يطبقونها في بلدانهم ولا يقبلون أبداً أن تكون موجودة في بلدانهم.. والعرب يسمعون بكل عبودية، ويطبقون الوصفات الغربية التي تدمر بلدانهم وشعوبهم وهم راضون فرحون.

هٰذا ما جنيناه على أنفسنا. هٰذا ما أردناه لنا ولأمتنا. لقد صرنا (ملطشة) للكبير والصغير، الداخل يصفعنا والخارج يصفعنا... وعلينا فوق ذٰلكَ أن نقول: سمعنا وأطعنا.

وتستمر حملات الإساءة من مختلف الأنواع وتصل إلى تدنيس مقدسات العرب والمسلمين... ولا من يسمع ولا من يعقل.

فماذا ينتظر العرب حَتَّى ينتفضوا ويرفعوا الذل عن رؤوسهم؟

متى يستيقظ العرب؟

متى يصحوا العرب من استغراقهم في نومهم هٰذا؟

كل هٰذا حدث ويحدث في فلسطين والبوسنة والعراق وأفغانستان وچوانتانامو... فماذا ننتظر؟

إن كنا ننتظر ما هو أعظم وأخطر فلا أظن أنَّ ثَمَّةَ ما هو أعظم وأخطر... ليس هناك ما أعظم من ذٰلكَ فلا تنتظروا، إمَّا أن تنفجروا أَو أن تنفجروا.. فاختاروا وانفجروا.

كرامتنا مسلوبة، عزَّتنا مصلوبة، ونحن نتفرج عليها وكأنَّها كرامة أعدائنا أَو عزة خصومنا، نشمت بصلبها ونتشفى بسلبها.

لا مبالغة في ذٰلكَ أبداً، ففي كلِّ خطابٍ وتصريحٍ من مسؤولٍ أمريكيٍّ أَو صهيونيٍّ تصفع كرامتنا مئة ألف صفعة، وتحتقر عقولنا احتقاراً تتمرد من أجل مثله البهائم. ومع ذٰلكَ لا نتحرَّك، بل ونتمسح بأردان السيد الأمريكي؛ العم سام.

هل وصلنا إلى درجة من التَّفاهة والسَّفالة والنذالة أن نستلذ بالجلد الغربي لنا واحداً واحداً، وصلبنا على أفخاذ العهر والفجور، وبعد نطالب الغربيين أن يعبروا عن حقوقونا ويدافعوا عنها؟

هل وصلنا إلى هٰذه الدرجة فعلاً؟

إنَّ ما يبدو هو أننا وصلنا إلى هٰذه المرحلة. وإلا كيف نفسر أنَّ أكثر من دولة غربيَّة مستنفرة منذ نحو الشهر في مفاوضات ومؤتمرات ومساجلات من أجل قضايا العرب ومشكلاتهم، فيما العرب لا وجود لهم، ولا صوت، ولا اقتراح... ولا حَتَّى سعلة أَو نحنحة توحي بأنَّهم موجودون. وكأنَّ لبنان مثلاً أو فلسطين جزءٌ من نيفادا، وإسرائيل جزءٌ من كاليفورنيا.

فماذا ننتظر؟

وهل سيطول الانتظار؟

من الخطأ الكبير أن نبرئ أنفسنا من التَّقصير. لا شكَّ في أنَّ امتنا مقصرة من مختلف المستويات والمسؤوليَّات، ومن يحاول القول إنَّنا غيرُ مقصرين ليس إلا كمن يحاول أن يحجب أشعة الشَّمس بغربال.

يبدو أنَّ العالم يتعامل معنا، ونحن نتعامل مع أنفسنا على أنَّنا أمَّة طارئةٌ على البشريَّة، على أنَّنا عنصرٌ فائضٌ على الأرض.

لا نبالغ أبداً في هٰذا الوصف، فكل السلوك الغربي تجاه العرب في مختلف المشكلات والقضايا، وفي كل الأقطار العربية؛ من مراكش إلى عمان، يدل على أنَّ الغرب يتمنَّى لو ينتفي وجود العرب من العالم، بل الشَّواهد تؤكِّد أنَّ الغرب عامَّة، مع مراعاة الاستثناءات، يسعى إلى إلغاء الوجود العربي، إلى حذفه مثل ملف في الحاسوب لم يعد له قيمة، وقلَّ من لا يعلم ما وصل إليه حال تهميش العرب وإخراجهم من التاريخ على طريق إخراجهم من الجغرافيا...

ولذلك فإنَّ قتل العربيِّ في أيِّ مكانٍ من العالم خبرٌ يمرُّ مرور خبر دهس سيارةٍ لجرذٍ... وقتل ألف عربي ليس أكثر من خبر تساقط سرب جراد في بئر بالخطأ.

كثيرون يقولون: يستحقُّ العرب ما يحدث لهم، إنهم الشَّريك الأول والأكبر في تكريس هٰذه الصورة، وتكريس هٰذه القيمة لهم في أرجاء العالم، فالقرآن تم يدنيسه ولم تتخذ حكومة عربية أيَّ إجراءٍ له أيُّ قيمة، ولا الشعوب تفعل شيئاً يمكن أن يقود إلى أيِّ نتيجة. وإذا قام أيُّ شعب في أيِّ دولة عربيَّة بأيِّ مظاهرةٍ أو فعلٍ حاربه النَّظام وجردوا الفعل من قيمته إن وصل إلى الحد الذي يكون قيمة.

أليس في ذٰلكَ ما يضحك من البكاء؟؟!!

أليس في ذٰلكَ ما يبكي من الضحك؟؟؟!!

أليس في ذٰلكَ ما يربك الحليم الحكيم ويدخله في دوامة العجز عن الوصف والصبر والاحتمال؟؟؟!!

الأمثلة أكثر من أن تعد أو تحصى، حسبنا أن حكام العرب أقوى أداة في يد الغرب لحماية مصالح الغرب على حساب مصالح العرب، وحماية قيم الغرب على حساب قيم أمتنا وتاريخنا.

الفصل الأول

مشكلتنا هي نحن

الأخوة والأصدقاء الأعزاء على امتداد الوطن العربي الكبير القدير

تحية العزة والإباء

ما تمرُّ به الأمَّة العربيَّة والإسلاميَّة اليوم ليس فيه من جديدٍ سوى وضوح الصُّورة للجماهير بسبب الثَّورة الإعلاميَّة والمعلوماتيَّة لا أكثر.

التَّهديدات والتَّحديات والمؤامرات والضغوط التي تحيق بالأمة ليست جديدة أبداً لأنَّنا إذا عدنا إلى مطالع القرن العشرين على الأقل وجدنا ما كان حينها غير مختلف عمَّا يحدث اليوم ولم يختلف الأمر ما بَيْنَ اليوم ومطالع القرن العشرين.

مخططات التَّجزئة وإثارة الفتن الطائفية والدينية والإقليمية ومنع التطور وإعاقة التقدم وتكريس الأنظمة القمعية.. كلها ممارسات ظلَّت ولم تزل قائمةً على قدمٍ وساقٍ منذ مطالع القرن العشرين على الأقل بمختلف السُّبل الممكنة والمتاحة ولم يتغير شيءٌ حَتَّى الآن.

هٰذه حقيقة يدركها المهتمون ويعونها جيِّداً ورُبَّما لا يختلفون على شيء منها.

ولكن ما يجب توضيحه هنا ووعيه وعياً صريحاً لا لبس فيه هو أننا منذ مطالع القرن العشرين ونحن نسير بالمقلوب ونسلك الطرق الخاطئة ولذلك ظلَّت العجلةُ تدور بارتياح في طريقها إلى تدمير الأمَّة العربيَّة وقيادتها من هاويةٍ إلى هاويةٍ أخرى.

ما زلنا منذ قرن ونحن نسبُّ الاستعمار وندين سلوكاته وممارساته ومخططاته. وبعدما خرج الاستعمار توجهنا بالسَّبِّ واللعن والإدانة إلى الغرب عامَّة، وبعد ذٰلكَ إلى الولايات المتحدة خاصةً... ولم ننظر إلى أنفسنا وأنظمتنا الحاكمة.

ظللنا نتهم الغرب بالحمق والازدواجيَّة والوحشيَّة...

سعينا لنُفْهِمَ الغرب أنَّهُ مخطئٌ بهٰذه الممارسة الازدواجية المناقضة للمنطق..

انتظرنا من الغرب أن يدرس المنطق حَتَّى يحسن معاملته لنا...

وظللنا ننتظر...

وما زلنا نتظر...

وسنظل ننتظر طالما أننا نفهم المعادلة بالمقلوب...

أليس من الحمق أن نفعل ذٰلكَ؟

كلُّ الحمق في هٰذه الخيارات التي حكمنا أنفسنا بها طيلة أكثر من مئة سنة...

النَّقطة الحقيقية التي يجب أن نفهمها وننطلق منها هي أنَّ الغرب يمارس ما يخدم مصالحه، ويقوم بما يجب أن يقوم به لتحقيق مصالحه ولذٰلك ينبغي أن لا نلومه أبداً بل يجب أن نقتنع أنَّ ساسة الغرب سيكونون أغبياء بل خونة إن لم يقوموا بما يقومون به من أجل حماية مصالح شعوبهم وأممهم...

هٰذا يعني أن **جورج بوش الصغير** وفريقه سيكونون خونة إن لم يقوموا بما يقومون به من حصار واحتلال وتهديد وضغوط على العراق وسوريا ولبنان وبقية الدول العربية...

والسؤال الذي يفرض ذاته الآن هو:

إذا كان الغرب يفعل ما يفعل لتحقيق مصالحه فماذا فعلنا ونفعل نحن؟

الواقع يقول إننا ساعدنا الغرب على تحقيق مصالحه على حساب مصالحنا وكرامتنا وشرفنا وأخلاقنا وقيمنا فكنَّا بذٰلكَ نحن من يمارس الازدواجيَّة ونعيق تقدمنا ونعرقل تطورنا...

فكنَّا نحن الخونة...

مشكلتنا إذن هي نحن وليس الغرب..

الغرب لم يخطئ، لأنه يحقِّق مصالحه..

مشكلتنا في أنظمتنا السِّياسية التي تقف ضد مصالح أمتنا وتتآمر الغرب على الأمة...

ومشكلتنا في شعوبنا المتخاذلة التي تفهم الحقيقة وتصمت..

مشكلتنا أننا نحن كلنا من نخون أنفسنا ومصالحنا وقيمنا وماضينا وحاضرنا ومستقبلنا...

فإلى متى سيستمر الصَّمت؟..

لا أريد أن أطيل ففي فطنتكم ما يكفي...

دمشق في ٢٠٠٦/٩/٦م

الفصل الثاني

أشد العجز

الجامعة العربية تعلن عجزها عن إيصال الأمانة

الأمة العربيَّة تعجز عن إيصال الأمانة تعبير رُبَّما بات ممجوجاً مستهلكاً لأنَّهُ حقيقة لا يوجد من يشكُّ فيها. الأمَّة العربيَّة اليوم عاجزةٌ عن إجارة من يستجير وعاجزةٌ عن حمل الأمانة، وعاجزة عن إيصال الرِّسالة والأمانة... عاجزة بكلِّ معاني العجز حَتَّى بات من الممكن القول إنَّها أضعف من كسيح كسير أخرس على باب متجبر لئيم.

لا فرق في هٰذا الحكم بَيْنَ الحكام والحكومات والشُّعوب إلا في طبيعة العجز، فالحكام يحكم عجزهم إرادة العجز والخنوع والخيانة، والحكومات توابع للحكام، وكلهم، ورُبَّما من دون استثناء وصوليون منافقون تغريهم الكراسي والخدم والحشم فيبيعون ضمائرهم ومبادئهم ورُبَّما

أعراضهم من أجل هٰذه الكراسي. وقد شاهدنا الكثير من الوزراء الذين كانوا أعلاما في المعارضة (والفكر الحر) ونقد السلطات... كيف انقلبوا مع الجلوس على الكرسي إلى أشدِّ المنظِّرين تطرفاً في الدِّفاع عن خيانة الحكام وتسويغ سياساتهم، وقد وجدنا قبل أيام قليلةٍ فقط من قال بالصوت العالي المجعجع: إنَّ الأسرى العرب في سجون الاحتلال الصهيوني خونة لأنهم لم يستأذنوا (جلالة السلطة الخائنة) في النضال ضد الاحتلال.

أما الشَّعب العربي فهو غير خائنٍ ولٰكنَّهُ خنوعٌ قانعٌ بما يقرِّره الحكام ويرسمونه من استسلام وانهزام، ويزيدون على ذٰلكَ بدفاعهم عن حكامهم على الرَّغْمِ من صريح خيانة هؤلاء الحكام وعمالتهم وانفضاحها بما لم يعد يقبل الشَّك والجدال. فكيف يمكن أن أفسِّر قبول الشَّعب العربي بانتهاك عرضه وشرفه وكرامته وقيمه ودينه من دون أن يحرك ساكناً، من دون أن يهب هبَّةً واحدةً للدِّفاع عن كل ذٰلكَ؟!

كلُّ هٰذه حقائق، للأسف، يصعب دحضها أَو تكذيبها أَو حَتَّى التَّشكيك فيها. والشَّعب العربي الذي ندينه يقر بما ندينه ولا يستطيع إنكار ذٰلكَ. وقد أَلِفَ الشَّعب العربي هٰذا الضَّعف والعجز وتآلف معهما حَتَّى بات يتعامل معه وكأَنَّهُ جزءٌ من طبيعة الحياة وطبيعة العرب!! وهٰذا أمر لا يجوز السكوت عنه، يجب تفجير الأفكار والعقول للخروج من هٰذا التيه.

هٰذا كلُّه على ما ينطوي عليه من أسى وفجيعة أقلُّ بكثيرٍ من مصيبتنا مع الجامعة العربيَّة بل الأمَّة العربيَّة حكاماً ومحكومين اليوم. وأعني باليوم اليوم بدلالته المباشرة لا بدلالته الظَّرفيَّة المفتوحة.

الشَّعب الفلسطيني محاصرٌ من جميع الجهات؛ من تحت الأرض ومن فوق الأرض، ومن بَيْنَ ثناياها!! محاصر لأنَّهُ انتخب حركة حماس؛ لا يدخل إليه طعام ولا شراب ولا دخان ولو استطاعوا لمنعوا عنه الهواء.

الذين أعلنوا الحرب والحصار هم الولايات المتحدة والكيان الصهيوني معاً بغيه إفراغ المقاومة الفلسطينية من مضامينها وتجريدها من آخر الأسلحة. والتزم المعسكر الغربي بهٰذه الحرب والحصار... **وليس هٰذا بمستغرب، المستغرب هو أن تكون الدول العربيَّة في طليعة من نفَّذَ الحصار على الشَّعب الفلسطيني** من أجل إسقاط الحكومة التي انتخبها وإسقاط مشروعها النضالي.

في غمرة الإدمان على الخيانة والتآمر لم يعد ذٰلكَ مستغرباً ولا مستهجناً فقد تآمر الحكام العرب على احتلال العراق، وقبلها تآمروا على تسليم فلسطين للصهاينة... وغير ذٰلكَ كثير.

ولٰكن ما لا يمكن أن يقبل هو أن يصل العجز إلى أشدِّه، إلى ما ليس بعده عجزٌ. إلى أن تعجز الجامعة العربيَّة والأمَّة العربيَّة عن إيصال التَّبرعات للشَّعب الفلسطيني؛ لا إلى السُّلطة المتآمرة على حماس ولا إلى الحكومة التي تقودها حماس.

تبرَّع الشَّعب العربيُّ في كثيرٍ من دوله ببعض الأموال على حساب خاصٍّ باسم الجامعة العربيَّة في القاهرة، ولم تتبرع رسميًّا إلا دولةٌ واحدةٌ هي قطر. وبعد شهرين من جمع التَّبرُّعات ووضعها في الحساب الخاص، وبعد أكثر من شهرين من حصار الشَّعب الفلسطيني من جميع الجهات وفقدانه الأكل والشُّرب والخبز... يأتي السيد **عمرو موسى** اليوم الجمعة ١٢ أيار ٢٠٠٦م ليتصل برئيس السُّلطة الفلسطينية **محمود عباس** ليخبره أنَّ

الجامعة العربيَّة عاجزةٌ عن تحويل الأموال التي تمَّ جمعها لعدم قدرة البنوك على تحويلها بسبب الضُّغوط الأمريكيَّة... وليمتِ الشَّعبُ الفلسطيني جوعاً وقهراً... وليمتِ الشعبُ الذي يريد أن يعيش كريماً... وليمت الشَّعب الذي يدافع عن كرامته...

دمشق ٢٠٠٦/٥/١٢

الفصل الثالث

العالم جميل (بلا) عرب

العرب وحدهم في قلب المشكلات

مئاتٌ كثيرة من أسماء الدول على سطح الأرض، ومئات كثيرةٌ بل آلاف من القوميَّات هي التي تحدِّد معالم هٰذه الدُّول، وآلاف اللغات هي التي تتكلمها شعوب هٰذه القوميَّات والدُّول... وسطح الأرض الذي تتموقع عليها كلُّ هذه المؤشرات واسع سعة تبعث على الدَّهشة.

إذا نظرنا إلى خريطة هٰذه المؤشرات على سطح الأرض وجدنا أنَّ كلَّها تعيش بسلامٍ وأمانٍ، ووجدنا أنَّ العالم العربي وحده يعيش المشكلات، ووجدنا إلى جانب ذٰلكَ أنَّ الشرعية الدوليَّة وقادة العالم الغربي لا شغل لهم إلا مشكلات العالم العربي والعالم الإسلامي إلى حدٍّ ما... بل رُبَّما إلى حدٍّ كبير.

العالم العربي وحده الذي يقتتل فيه الناس ويحتاجون من الشرعية الدولية أن تتدخل لتضع لهم حدًّا.

والعالم العربي وحده الذي يفتقر إلى الحرية والديمقراطية ويحتاج إلى جهود صاحبتي الجلالة؛ الشَّرعية الدولية والولايات المتحدة الأمريكية لتحقيق الحرية والديمقراطية.

والعالم العربي وحده الذي يعاني من ظلم الحكام ويناشد الولايات المتحدة الأمريكية والشرعية الدوليَّة إزاحة هؤلاء الحكام الظالمين.

والعالم العربي وحده الذي لا يوزع الثروة توزيعاً عادلاً ويتوسل للولايات المتحدة الأمريكية والشرعية الدولية التَّدخُّل لإعادة توزيع الدَّخل العربي على نحو عادل.

والعالم العربي وحده الذي إذا امتلاك سلاحاً كان خطراً على الأمن والسلم العالمي، ووجب لذلك استنفار الشرعية الدوليَّة لمنع امتلاكهم أي سلاح.

والعالم العربي وحده الذي يمتلك ثروات لا يحسن استثمارها واستثمارها ولذلك يجب وضع الوصاية عليه وعلى ثرواته حَتَّى لا يضيعها.

والعالم العربي وحده الذي لا يعرف كيف ينفق ثرواته ولذلك يجب وضع الوصاية عليه وترشيد إنفاقه ما يمتلك من ثروات.

والعالم العربي وحده الذي لا يحسن الدِّفاع عن نفسه ولذلك يجب وضع القواعد العسكرية الأمريكية فيه حَتَّى تدافع عنه.

والعالم العربي وحده الذي لا يعرف كيف يتطور ويتوسل للولايات المتحدة والشرعيَّة الدولية الإمساك بيده وتطويره خطوة بخطوة.

العالم العربي وحده الذي يكره أن تتدخل الشرعيَّة تتدخل الشرعية الدولية في شؤونه ولكن الشرعيَّة الدولية تكره أن تتدخل في غير شؤون العالم العربي!!

والعالم العربي وحده الذي لا يقتنع بأن الشَّرعية الدولية تتخذ قرارات لمصلحته وعلى العالم كله أن يتوافد إلى العالم العربي لإقناعه بأن قرارات الشَّرعية الدوليَّة ليست ضده. وعلى الرَّغْمِ من أنَّ كلَّ قرار اتخذ أقنع العرب قبل القبول به بأنَّهُ ليس ضدهم وتبين بأنه ضدهم فإنَّ الغربيون لا يتورعون حَتَّى الآن عن تكرار اللعبة ذاتها، ولا يستفيد العرب من دروس التاريخ ويقتنعون بأنَّ القرارات الجديدة ليست ضدهم!!

أيعقل أنَّ العالم خال المشكلات إلا العالم العربي؟

أيعقل أنَّ الشرعية الدولية لا همَّ لها ولا شاغل إلا العالم العربي؟

العالم مليء بالمشكلات العظمى، مليء بالمجازر الحقيقية، مليءٌ بالديكتاتوريات، مليءٌ بكلِّ شيء... ولكن العالم الغربي خاصَّة ترك كلَّ شيء، وكلَّ الأمم، وكلها مشكلاتها وتفرَّغ للعالم العربي. لا هم وراء مجلس الأمن إلا اتخاذ قرارات إعادة العالم العربي إلى جادة الصواب، وكأن كلَّ العالم بكلِّ أممه وشعوبه ولغاته على جادة الصَّواب إلا العرب، وكأن كلَّ شيء في العالم قابل للإصلاح بسهولةٍ ومن دون تدخل أيِّ طرف خارجي، والعرب وحدهم الذين لا يصلح لهم شأنٌ إلا بتدخل مجلس الأمن والقوات الأجنبيَّة!!

إذا عدنا إلى قرارات السيدة الشرعية الدولية منذ نشأتها وجدنا أنَّ أكثر القرارات وأخطرها هي التي اتخذت في حقِّ العرب، ومعظم القرارات الأخرى إن لم تكن كلها قرارات تافهة أَو شكلية.

لماذا ترك الغرب كلَّ مشكلات العالم العظمى وراحوا يهولون من مشكلاتنا ويحشدون الجيوش والخبراء للتَّدخل في شؤوننا باسم الشَّرعية الدوليَّة؟

هل سأل المستغربون من العرب أنفسهم هٰذا السُّؤال؟

لا ندافع عن الخطأ، ولا نقبل أن ندافع عنه، وينبغي ألا ندافع عنه. ولٰكن ألم نسأل أنفسنا لماذا هٰذا التَّفرغ الغربي والشَّرعية الدولية للعالم العربي من فلسطين إلى العراق فلبنان وسوريا والصومال وليبيا والسودان؟؟ ولماذا هٰذا الإلحاح الشَّديد على حلِّ مشكلات لبنان والسودان وبقية البلدان؟ ولماذا يرون فينا هٰذه المشكلات ولا يرونها في غيرنا من الدُّول؟ ولماذا يسعون لحلِّ مشكلاتنا ولا يفكِّرون في حلِّ مشكلات غيرنا؟

عجباً! وبأي حقٍّ يحلون مشكلاتنا؟ وهل نحن عاجزون عن حلها؟ وإذا كنا عاجزين فهل وحدنا العاجزون عن حلِّ مشكلاتنا؟ وإذا كنا عاجزين عن حل مشكلاتنا فمن ذا الذي فوَّضهم في حلِّ مشكلاتنا؟ هٰذا إذا كانت مشكلات أصلاً.

تَنَبَّهوا وَاسْتَفِيْقُوا أَيُّهَا العَرَبُ
فَقَدْ طَمَى الْخَطْبُ حَتَّى غَاصَتِ الرُّكَبُ

دمشق في ٢٠٠٨/١٠/٦م

الفصل الرابع

العرب يعكرون المزاج

العرب وحدهم محكومون بالوفاق

لا نريد أن نعدِّد دول العالم وأممه وشعوبه ولغاته وقومياته فنحن أمام الآلاف غير المؤلفة في بعضها والمؤلفة في بعضها الآخر... ومن بَيْنَ هٰذه الأنواع من الآلاف نجد العرب وحدهم ووحدهم فقط بطبيعة خاصَّةٍ ومزاجٍ خاصٍّ وخاصٍّ خاصٍّ وعامٍّ خاصٍّ... ولٰكن لا توجد خصوصيَّةٌ من هٰذه الخصوصيات ترفع الرَّأس أو تبيض الوجه بل كلها مما يُبَيِّضُ العيونَ ويسوِّدُ الوجوه وينكِّسُ الرَّأس ويرفع الأرجل.

المشهد الذي نقف عنده هنا هو الانتخابات العربية بملحقاتها وتوابعها.

إذا نظرنا إلى كلِّ دول العالم التي تجري فيها انتخابات وجدنا أنَّ الحزب الذي يفوز بالانتخابات هو الذي يتسلَّم مقاليد السُّلطة من بابها إلى محرابها طيلة

مدَّة دورته الانتخابية، رُبَّمَا مع التَّحفظ على أساسيات لا يتمُّ تجاوزها. ولكِنَّهَا على أيِّ حالٍ تبقى هي صاحبة القرار والتسيير والتَّدبير ورسم معالم السياسة والأولويات بمختلف ميادينها وأنواعها.

الدُّول العربيَّة لا تعرف الانتخابات ولذلك لا تعاني من مشكلة التَّفكير في مثل هٰذه الأمور. ولٰكنَّ كل الدول العربية التي مارست الانتخابات بأيِّ نوعٍ من أنواعها أَو مستوى خالفت كلَّ دول العالم التي تمارس العملية الانتخابية وخرجت عن كلِّ أعراف الانتخابات وتقاليدها، رُبَّمَا نكون أمام أكثر من نوعٍ من أنواع الخروج على المنطق والمألوف والمتعارف والمعروف ولكِنَّهَا كلها تجتمع عند نقطةٍ واحدةٍ هي ما يسمَّى حكومة التَّوافق، أَو حكومة توافقيَّة، أَو حكومة وحدةٍ وطنيةٍ... وهلم جرًّا من مثل هٰذه التعابير التي تدلُّ دلالةً واحدةً وهي عدم القبول بتسليم الحزب الفائز السُّلطة وعدم السَّماح له بالحكم إلا بالمشاركة مع القوى الأخرى.

لدينا ثلاث نماذج لدول حدثت فيها انتخابات، وأكثر من ذٰلكَ من حالات مشابهة لدول لم تحدث فيها انتخابات. ولٰكن قبل أيِّ كلام في ذٰلكَ يجب تذكُّر أنَّنا لا نناصر أيَّ فئةٍ فازت أَو خسرت، ولا نقف مع أحدٍ. نحن ننظر من الزَّاوية المنطقية والقانوية والتاريخية للحدث وليس للأحزاب الفائزة استحقت ذٰلكَ أم لم تستحقه.

الأنموذج الأول

هو الأنموذج العراقي بعد **صدام حسين** الذي يقوم أصلاً على توافقيَّة قبليَّة تحدِّد عدد الذين يجب أن ينجحوا من كلِّ مذهب أَو طائفة، ليتحوَّل العراق من كينونةٍ واحدةٍ إلى فسيفساء غير متماسكةٍ على أقلِّ تقدير، تقوم أساساً على عدم

قدرة أَو عدم صلاحية أي حزب أو حركة للحكم وحدة أَو بأغلبية، وقد تكرس هٰذا السُّلوك بفعل الاحتلال الأمريكي الذي يخطط لتفتيت العراق وشرذمته، وسار العراقيون فيه راغبين أَو مرغمين...

الأنموذج الثاني:

هو الأنموذج اللبناني العريق في توزيع الحصص والصلاحيات بَيْنَ المذاهب والطوائف ولا وجود أبداً فيه لأي حركة أَو حزب عام أَو علماني فوق الطوائف والمذاهب. (وكلما دق الكوز بالجرة) تأزمت الأمور وصدرت التصريحات من كلِّ الجهات بالدَّعوة إلى حكومة توافقيَّة، أو لبنان لا يحكم إلا بالتوافق بَيْنَ الجميع وكأنَّ الوطن هو للمرجعيات الدينية أَو السياسية وحدها ولا حقَّ لغيرها في أن يفكر أيَّ تفكير في مستقبل لبنان ولا في حاضره.

الأنموذج الثالث:

هو التجربة الفلسطينية الحديثة العهد، وهي تجربة طريفة طرافة تضع العقل في الكفَّ، إذ المعروف أنَّ حركة فتح باسم منظمة التحرير الفلسطينية استلمت السلطة منذ اتفاقيات أوسلو، وحركة فتح هي التي تفاوض باسم الشعب الفلسطيني، وتبرم الاتفاقيات، وتحدِّد الصَّلاحيات... ولأنها ظلَّت وحدها هي السلطة التَّشريعية والتنفيذية والرئاسية لم تطف على السطح مشكلات تستحق الوقوف عندها في هٰذا الشأن اللهم إلا مشكلة نزع صلاحيات عرفات لصالح **محمود عباس** عندما فرضه الأمريكان رئيساً للوزراء.

الذي حدث منذ أشهر هو أن الفلسطينيين خاضوا لأول مرة انتخابات حقيقية فازت فيها حركة حماس، وفوجئت حماس أنَّهَا يمكنها فقط أن تسمي وزراء، ولكِنَّهُم بدءاً من رئيس الوزراء إلى آخر وزير لا صلاحية لهم ولا عمل وقدرة ولا

فعل... هم فقط وزراء بالاسم، كل الأمور ظلت بيد حركة فتح التي حكمت وتحكم باسم الرئاسة في كلِّ الأمور الأمنية والسياسية والمالية والاقتصادية والاجتماعية... ولهذه ظاهرة فريدة لم يعرف التاريخ لها نظيراً ولا مثيلاً.

فلماذا إذن الانتخابات في هذه الدول طالما أنَّهَا لا تقدم ولا تؤخر ولا تمشي ولا تقف...؟؟

هذه المشكلة ذاتها قائمة في دول عربية أخرى من دون وجود انتخابات فيها، وأبرز نماذجها السودان والصومال والجزائر التي تقوم هي أيضاً على مبدأ الانتقاص من قدرة من هم في السلطة على إدارة البلاد من دون مشاركة الفرق الأخرى.

نقط الانطلاق إذن هي انعدام الثقة في القدرة والكفاءة والأخلاق والأمانة... فلا أحد يقبل بالانتخابات، وإذا حدثت الانتخابات لا أحد يعترف بقدرة الآخر على قيادة الدولة والمجتمع، ولا أحد يثق في الآخر ليسلم له مقاليد السلطة... لنصل إلى نتيجة واحدة هي أنَّ الغربي وحده أهل للثقة والقدرة والكفاءة والأمانة، أما العرب فهم غير قادرين على حكم أنفسهم، وليسوا أهل ثقة ليحكموا أنفسهم!!

ماذا يعني هذا؟

هذا بالدرجة الأولى مسعى غربي لتكريس هذه القناعة والسُّلوك عند العرب والعالم كله للوصول إلى نتائج أخرى خطيرةٍ يقف على رأسها ضرورة وضع العرب تحت مظلة المراقبة الدولية والحماية الدولية والتدخل الدولي لأنَّهُم إذا تركوا وحدهم فسيأكلون بعضهم.

إذا افترضنا أنَّ الغرب لا يسعى إلى ذَلكَ، وهو افتراض باطل، فإنَّ له أذيال ينوبون عنه في تنفيذ مخططاته ومصالح إمَّا مباشرة وإما بغباء يحسدون عليه.

إذا افترضنا عدم وجود مسعى على الإطلاق لتحقيق ذَلكَ فإنَّهُ يكفي للدلالة على أنَّ العرب أناس لا صلة لهم بالحضارة والوعي الحضاري.

هٰذه ليست النتائج الوحيدة ولكِنَّهَا وإن كانت وحيدةً فإنَّهَا أخطر بكثيرٍ مما نظن، وأخطر بكثير من القبول بالسكوت عنها. إن أقلَّ ما يمكن أن يقال في مثل هؤلاء الذين يخربون بلدانهم ويسعون إلى تفتيتها وتشتيتها هو قول أسامة بن سفيان:

أَسَدٌ عَلَيَّ وَفِي الْحُرُوْبِ نَعَامَةٌ

رَبْدَاءُ تَنْفِرُ مِنْ صَفِيْرِ الصَّافِرِ

دمشق في ٢٠٠٦/١٢/١٧

الفصل الخامس

حَتَّى يحافظ العرب على سمعتهم

من تداعيات زيارة ذوي المرضات البلغاريات

في يوم الخميس ١٢/٢٣/ ٢٠٠٤م سمح الرئيس الليبي **معمر القذافي** لذوي السجينات البلغاريات بزيارتهن، وهي المرَّة الأولى التي يتمُّ فيها لهم ذَلكَ.

هٰذه المبادرة في طبيعتها تنم عن نبل وإنسانيَّة من دون شكٍّ، بغضِّ النَّظر عن التَّسفيهات التي قوبل بها هٰذا الإجراء من قبل بعض النُّقاد والكتاب والإعلاميين، وبغضِّ النظر عن احتجاجات ذوي الضحايا من الأطفال الأبرياء، وبغضِّ النَّظر عن أنَّهُ لم يسمح لذوي الطبيب الفلسطيني المدان مع الممرضات البلغاريات بزيارته وهٰذا تمييزٌ قذرٌ من النِّظام الليبي ضد هٰذا العربي.

قصَّة الممرضات البلغاريات والطَّبيب الفلسطيني المدان معهم يعرفها الكثيرون، وتتلخص في أنَّ هؤلاء جميعاً كانوا فريقاً يعمل على حقن الأطفال الليبيين بدماءٍ ملوثةٍ بالأيدز، مع علمهم بما يفعلون، لأنَّهم لو كانوا جاهلين أَو مغفلين لما أدينوا بالطَّريقة التي أدينوا بها، ولما حكم عليهم بالإعدام.

هٰذه هي صورة الحدث. بالنسبة لأيِّ ناظرٍ خارجيٍّ قد يكون هناك خطأ وقد لا يكون، قد يكونوا أبرياء وقد لا يكونون... ولا يقدم هٰذا كثيراً ولا يؤخِّر في شيء لأنَّهُم بالنِّسبة للقضاء، على أمانة القضاء، وبالنسبة للمتعامل مع صورة الحدث هي أنَّهم مدانون بالأدلة القاطعة التي أدت إلى الحكم عليهم بالإعدام.

الذي يعنينا الآن هو تداعيات هٰذا السَّماح بالزيارة. والعبارة المريبة التي أطلقتها إحدى قريبات الممرضات، التي قالت مما قالت:

. إذا أرادت ليبيا أن تحافظ على سمعتها فستحصل الممرضات على البراءة.

عبارة جدُّ خطيرة لا يجوز أن تمرَّ بيسر أَو سهولة. فماذا يعني أن تحصل الممرضات على البراءة من أجل أن تحافظ ليبيا على سمعتها؟

صورة الحدث كما أشرنا أنَّ هناك إدانة جعلت القضاء يحكم على الممرضات بالإعدام. وهٰذا يعني وجوب معاقبتهن على الأقل وفق القوانين المعمول بها في البلد الذي وقع عليه الاعتداء أَو وقعت الجريمة على أرضه، وهو ليبيا. ولٰكن، كما أشارت قريبة إحدى الممرضات، من أجل المحافظة على السمعة؛ سمعة ليبيا، يجب أن تحصل الممرضات على البراءة. وأظن أنَّ هٰذه البلغارية كانت على شيءٍ من الحياء والاحترام، لأنَّهُ كان من المفترض فيها، أَو على الأقل كان بإمكانها أن تطالب الحكومة الليبية بمكافأة الممرضات على فعلتهن ومنحهن وسام الاستحقاق الليبي من الدرجة الأولى أَو رُبَّما الممتازة، لأنهن قمن بجهود جبارة في

زرع الأيدز في أجساد عشرات أَو مئات الأطفال الليبيين! أليس في ذَلكَ ما يدعو إلى الفخر بهن والاعتزاز بما فعلن ويفرض على الحكومة الليبية إقامة تماثيل لهن إلى جانب تماثيل **القذافي**؟

أفمن أجل سمعة ليبيا يجب أن يسفَّهَ القضاءُ وتُتَجَاهَلُ الأدلَّة وتموت الجريمة؟ وأيُّ جريمة؟

رُبَّما تكون هٰذه الجريمة صغيرةً إذا ما قورنت بغيرها من الجرائم التي يجب أن نعترف بها من أجل المحافظة على سمعتنا. من أجل المحافظة على سمعتنا يجب أن نسمع ونطيع ونفعل كلَّ ما يأمرنا الغرب به. ينبغي أن لا نؤذ واحداً ينتمي إلى الغرب حَتَّى ولو بالادعاء ولا واحدة تنتمي إلى الغرب حَتَّى بالزَّعم أَو الادعاء. ينبغي أن لا نقول ولا نفعل ولا نفكِّر فيما يزعج الغرب. ينبغي أن لا نُكَذِّب الغرب. ينبغي ألا نخدش مشاعر الغرب...

ولذَلك، ومن هٰذا الباب، كان على ليبيا سابقاً أن تعترف بحادثة لوكيربي حَتَّى لا يظهر الغرب كاذباً، وحَتَّى لا يظهر الغرب على أنَّهُ لا يعرف كيف يصل إلى المجرم الحقيقي. واعترفت ليبيا، وقالت إنها هي التي قامت بهٰذه الجريمة، ودفعت التعويضات الخياليَّة لذوي الضحايا. ومن أجل ذَلكَ ذاته أيضاً فُرِضَ على مصر أن تفرج عن **سعد الدين إبراهيم** المدان بالعمالة للمخابرات الأمريكية وإمدادها بمعلومات سريَّة تضرُّ بالأمن المصري، ولم تكترث الولايات المتحدة بإعلان براءة **سعد الدين إبراهيم**، بل رُبَّما أرادت أن يظلَّ مداناً بالعمالة لأمريكا ومع ذَلكَ لا يجوز أن يسجن!! ومثل ذَلكَ ما حدث في قضية الجاسوس **عزام عزام** الذي كان يتجسَّس على مصر وألقي القبض عليه وسجن حَتَّى أفرج عنه الرئيس المصري **حسني مبارك** بمبادرة أدهشت جميع المراقبين حَتَّى الصهاينة. ومثل ذَلكَ حوادث

كثيرة من التدخلات والضغوط على الدول العربيَّة وحَتَّى الإسلاميَّة من أجل عدم المساس بعملاء وجواسيس مرتبطين بأمريكا أَو إسرائيل أَو حَتَّى غيرها من دول العالم الغربي.

وفي المقابل من ذَلكَ فإنَّ العالم الغربي كله تقريباً يكاد يصل إلى مرحلة إلقاء القبض على كلِّ من يحمل اسماً عربيًّا أَو له شكل يشبه العرب، فيما بات في العالم الغربي كلُّ عربي اسماً أَو شكلاً أَو حَتَّى ثقافة يحكم المدان ضمناً، الذي يجب أن يظلَّ تحت عدسات المراقبة والمتابعة حَتَّى لا يغيب عن المراقبة لأنَّهُ يخشى منه في أيِّ لحظة يفلت فيها من المراقبة!! فكيف يا ترى إذا تبين لهم أنَّ هٰذا العربي يتجسس عليهم أَو يتآمر عليهم؟ رُبَّما يبيدون شعباً بأكمله ويقضون على دولةٍ كاملةٍ. أليس ما حدث للعراق من احتلال ودمار ومجازر لأنَّهُم اعتقدوا أنَّ السلطة العراقية تعرقل المخطَّطات الأمريكيَّة في المنطقة العربيَّة؟ أَو لأنَّهم ظنَّوا أنَّ السُّلطة العراقية تتحدَّى الإرادة الأمريكيَّة؟ ألم تقم الولايات المتحدة الأمريكيَّة أيام **ريجان** بهجومٍ مدمِّرٍ على ليبيا لأنَّ الرئيس **القذافي** قال في خطاب له: «طز بأمريكا»؟.

ليس من السَّهل معرفة أَو تأكيد متى ظهرت فعلاً هٰذه النبرة؛ نبرة السمعة الحسنة، في مخاطبة العالم العربي، ولكن من المؤكَّد أنها ظهرت جليًّا إثر انهيار الاتحاد السوفييتي، وبدأت بالتَّصاعد خاصَّة بعد أحداث أيلول.

من أجل السُّمعة الحسنة يجب أن نفعل العجائب والغرائب، وأن نكون كائنات خالية من الإحساسات، خالية من الكرامة، من الضَّمير، من كلِّ ما يمتُّ لإنسانيتنا وهويتنا بصلةٍ؛ يجب أن تداس كرمتنا، أن تمرغ

بـالتَّراب والـدنس أنوفنـا!! يجـب أن نعـترف أننـا نحـن مـن سـرق الـنِّفط مـن أعمـاق الأراضـي الأوربيَّـة والأمريكيَّـة وأودعنـا أعمـاق أرضـنا، ونكفـر عـن جريمتنـا بإعـادة هٰـذا الـنِّفط إلـيهم علـى أكتافنـا مـع الاعتـذار وتقبيـل الأيـدي. يجـب أن نعـترف بـأنَّ الفلسـطينين هـم الـذي احتلـوا إسـرائيل وشـردوهم مـن أرضـهم ونكفـر عـن خطيئـتهم بتشـريد الفلسـطينيين وطـردهم مـن الأرض بـل مـن الكـرة الأرضـية ودفـع التعويضـات عمـا ألحقـوه مـن ضـررٍ بالصَّـهاينة. يجـب أن نعـترف أنَّنـا إرهـابيون ونتـبرأ مـن الإرهـاب ونكفِّـر عـن خطايانـا. يجـب أن نعـترف أننـا أصـوليون ونلعـن الأصـولية ونكفـر عـن خطايانـا. يجـب أن نعـترف أنَّنـا عـربٌ ونكفِّـر عـن خطيئتنـا بكوننـا عربـاً ونغـيِّر أسماءنـا وأخلاقنـا وعادتنـا وثقافتنا وهويتنا ونلعن العرب ونعلن أننا لسنا عرباً ونعلن انتماءنا للغرب!!

هل تستغربون ذلك؟

جاء في العدد ٤٧٨ من جريدة المحرر الصادر يوم السبت ١٨ كانون الأول ٢٠٠٤م عنوان عريض في الصَّفحة السَّابعة يقول: «من عمان إلى الخارج برعاية الأمـم المتحـدة؛ تهجـير مـنظم لعـراقيين وسـوريين تمهيـداً لاسـتيعابهم أَو إعـادة استخدامهم في المنطقة». وفي قلب الخبر كان من التَّفاصيل: «تهجير هؤلاء مع التَّرغيب في تغيير أسمائهم وديانتهم الإسلاميَّة إلى المسيحية بسبب المشاعر المعادية وتيسير تهجيرهم بأسمائهم الجديد».

ولكن هل سيكون العراقيون والسوريون هم وحدهم المقصودين؟

لا أظـنُّ ذٰلـكَ، فـالعرب كلهـم مقصـودون، وفي هٰـذا الخـبر مـا يشـير إلى أنَّ الهوية العربيَّة باتت هوية غير مرغوبٍ فيها في الأرض، وعلى العرب إما أن يعلنوا أنهم ليسوا من العرب وأن العرب قوم منقرضون. أو أن يوضعوا في مركبة تحملهم

إلى كوكب ما بعيدٍ عن الأرض، بل رُبَّما عليهم أن يظلوا في المركبة وتظل المركبة تدور بهم في أرجاء الكون.

هٰذا ما جنيناه على أنفسنا. هٰذا ما أردناه لنا ولأمتنا. لقد صرنا (ملطشة) للكبير والصغير، الداخل يصفعنا والخارج يصفعنا... وعلينا فوق ذٰلكَ أن نقول سمعنا وأطعنا.

هل هذا هو مصير الأمة العربيَّة التي صنعت التاريخ والحضارة؟

هل ستنتظر أمتنا ما هو أشد من ذٰلكَ؟

دمشق في ٢٠٠٥/١/٨

الفصل السادس

ما الذي ينتظره العرب أكثر من ذلك؟

ما أكثر ما يجب أن يقال. وما أقلَّ ما يجوز السُّكوت عنه!! ولٰكن هيهات هيهات أن يكفي الكلام، وهيهات هيهات أن يجدي الكلام حَتَّى وإن قيل الكلام كله!!

في بداية الانتفاضة تلعثمت الكلمات أمام الصَّمت العربي المخزي على المجازر الإسرائيليَّة، فكانت انتفاضات الجماهير العربيَّة على امتداد الشَّارع العربي تعبيراً عن الغضب على هٰذا الصَّمت لا تضامناً مع الشَّعب الفلسطيني وحسب، ولٰكن سرعان ما قمعت هٰذه الانتفاضات بدهاءٍ لم تستطعه إسرائيل مع الشَّعب الفلسطيني، ولم يخطر على بال العفاريت. وانطفأت جمرة الجماهير العربيَّة وتحوَّلت إلى رماد، وظلَّت رماداً؛ إن تركته كما هو لم يُجد شيئاً، وإن نفخت أعميت عينيك.

والمؤسف هنا أنَّ ما تلا قمع الشَّارع العربي من قتل للفلسطينيين، ومحاولات الممارسات الإذلاليَّة للشَّعب العربي والأمَّة العربيَّة.. كان أكثر بعشرات بل بمئات

الأضعاف مما أثارهم في بداية الانتفاضة، والأكثر مأسويةً من ذلكَ كله هو أن من يفترض فيهم أنَّهم أعداء العرب هم الذين يثورون وينتفضون تضامناً مع الفلسطينيين الذين يُسحقونَ سحقاً لا يعرف شيئاً من الإنسانيَّة، ولا يجدون من أهلهم أيَّ يد مساعدة.

الأكثر خطورةً ومأساويَّةً من ذلكَ كلِّه هو أنَّ العرب لم يكتفوا بالصمت المخزي الذي يندى له جبين الإنسانية كلها خجلاً، بل زادوا على ذلكَ بممارسة الضغوط على الشعب الفلسطيني لا ليسكت وحسب بل ليخنع ويقبل بالذُّل ويقبل انتهاك الشَّرف والكرامة والعرض... ويفرضون عليه بعد ذلكَ أن يبتسم للجندي الصهيوني الذي يطلق عليه الرصاص ويهدم بيته بالدبابة... وعلى هٰذا الفلسطيني أن يسترجع روحه بعد موته لحظة ليشكر القاتل ويقبل يده..!!

هل يصدق ذلكَ أحد؟

هل في تاريخ البشرية منذ مهدها مثل هؤلاء العرب؟

وهل ستعرف البشرية بعد العرب مثل هؤلاء العرب؟

لا أريد أن أستحضر التاريخ، ولا أريد أن أستشرف المستقبل، فالحاضر وحده يكفي البشرية كلها عظةً، ولكن لماذا لم يتعظ العرب؟ ولماذا لا يتعظون؟

نظريَّاتٌ كثيرةٌ تحاول تفسير ذلكَ، ولٰكنَّ النَّظريات كلها تتهاوى أمام هول الواقع ومأساويته، ولا توجد نظريةٌ واحدةٌ تستطيع تسويغ هٰذا الصَّمت العربيِّ الذي تقصر كلَّ الألفاظ عن وصف كم هو مخجل وخانع، وتعجز لغات العالم عن إيجاد المفردات الكافية أو المناسبة لوصف هٰذا الصَّمت. فكيف لو كان الأمر من أجل وصف ما يقوم به العرب فعلاً؟ أظن أنَّ الأفكار المجرَّدة ذاتها ستبكي أمام عجزها عن تصور حقيقة ما يحدث.

كثيراً ما استغاث الفلسطينيون بالعرب، وبالعالم، وما أكثر ما صرخت النسوة ودموع الأسى والألم في أعينهن وحشرجة القهر في صدورهن وأصواتهن: وامعتصماه، وواعرباه، ووإسلاماه... ولكن كنتَ أسمعت لو ناديت حيًّا، ولكن لا حياة لمن تنادي. ولذلك تغيرت لغة الخطاب، ولغة الرجاء، ولغة الاستغاثة، وتحوَّلت من رجاء المساعدة إلى رجاء عدم التدخل.

لَقَد ثبت للفلسطينيين أن معاناتهم من تدخل العرب في شؤون انتفاضتهم أشد إيلاماً من القتل الصهيوني الذي يحاصرهم بكلِّ الأسلحة ليل نهار. ولذلك صارت غاية أملهم أن يتعلَّم العرب فنَّ الصمت، أو يجربوا الصمت مرةً واحدةً، وسيعرف العالم أنَّ صمت عرب اليوم أبلغ من كلِّ الأسلحة. ولكنَّهُم للأسف لا يعرفون معنى الصَّمت، لأنَّهُم يصمتون عندما يكون الصمت إذلالاً وخنوعاً لا عندما يكون موقفاً.

ما الذي ينتظره العرب أكثر من ذلك؟

وما الذي يمكن أن يكون أشد من ذَلكَ قهراً وإذلالاً وتحقيراً؟

لم يبق اقتراحٌ إلا طرح، ولم تبق فكرة إلا قيلت، ولم ينفذ إلا عكس الاقتراحات والأفكار الَّتي تنفع العرب. حَتَّى الصَّمت عندما يكون مجدياً فإنَّ الحكام العرب يبخلون به علينا. ولكنَّنا لا نستطيع إلا أن نتكلم، ولا نستطيع إلا أن نقترح، لأنَّ النار تكوينا نحن ولا تكويهم، والقهر يغتصبنا نحن ولا يغتصبهم، والألم يعتصرنا نحن ولا يعتصرهم.

نحن الآن لا نريد أي دعم للانتفاضة، ولا للشَّعب الفلسطيني، كلُّ ما نريده أن نصمت ونترك الفلسطينيين يتصرَّفون، والأسلحة الَّتي يجب أن تُقَدَّمَ لهم لم نعد نريد أن تُقدَّم لهم، ولكن يجب أن نطلق رصاصها عليهم.

يجب أن نزرع في قلوبنا من الرحمة بعض ما قلوب خصوم الأمَّة لا أكثر، فقد أثبت الواقع أن من نفترض أنَّهم خصومنا أكثر رحمة بالفلسطينيين منا، فهل سنعجز أيضاً عن أن نعامل الفلسطينيين وكأننا أوربيون أو يابانيون أو حَتَّى أمريكيون... أو كما تعاملهم هٰذه الأقوام؟

دمشق في ٢٠٠٧/١/٢٣م

الفصل السابع

ماذا

ينتظر العرب أكثر حَتَّى ينتفضوا؟

لم تندمل بعد جراح تدنيس القرآن الكريم في چوانتانامو، الحادثة ما زالت ساخنة، وتداعياتها قائمة على أرض السجال والجدال... قبل يومين أو ثلاث فقط اعترف الأمريكيون بعد الإنكار أنَّ هناك فعلاً تدنيس للقرآن الكريم كما قال المعتقلون المفرج عنهم تماماً... لم يكذب المعتلقون في الوصف أبداً. فقد جاء التقرير طبقاً لما وصفوا على الرَّغْمِ من أنَّ الإدراة الأمريكية نفت ذَلكَ بطرق مختلفة.

عندما صدر التَّقرير الذي يؤكِّد وجود هٰذا التدنيس للقرآن الكريم خفَّفوا من وطأة المصيبة بأنَّ هٰذه الممارسة فرديَّة لا تعبر عن موقف الإدارة الأمريكيَّة، وهٰذا كذب بالتَّأكيد، وقد أكَّد المعتلقون الذين ثبت صدقهم في غير ذَلكَ أنَّ الجنود

الأمريكان قالوا لهم بعد مناقشتهم في ممارساتهم التدنيسية للقرآن: إنَّ المسؤولين عليهم هم الذين أمروهم أن يفعلوا ذلك.

لهذه الأحداث والسجالات ما زالت على أرض الواقع، والعالم العربي من محيطه إلى خليجه لم يتحرك ولم يعترض ولم يحتج... العالم العربي من محيطه إلى خليجه لم يقدم أكثر مما قدمته قرية أفغانية صغيرة...

ولأنَّ العرب لم يتحركوا، وكذلكَ العالم الإسلامي لم يتحرك بما يكفي ازداد استخفاف دول العالم وشعوبها بالعرب والقيم العربية والمقدسات العربيَّة... كانوا أيام زمان يسبُّون الإسلام، يسبُّون النَّبي، يلوحون بالإساءة... أمَّا اليوم فإنَّ الاعتداء صار صريحاً على المقدسات ذاتها مباشرة لا بالتلويح ولا بالتعريض ولا باللف ولا بالدَّوران... الاعتداء على المقدَّس ذاته، فقد توَّج الإسرائيليون في الأسبوع الأول من حزيران ٢٠٠٥م ما قام به الأمريكيون من أنواع تدنيس القرآن الكريم بأنَّ قام الإسرائيليون بالفعل ذاته تقريباً أمام المعتقلين الفلسطينيين، وقد نشرت جريدة يديعوت أحرونوت الصهيونية يوم الثلاثاء ٦/٧/ ٢٠٠٥م النقاب عن غضبٍ يجتاح سجن مجدو من قبل المعتقلين الفلسطينيين بسبب قيام الجنود الصهاينة بتدنيس القرآن الكريم وتمزيق صفحاته أمام المعتقلين لاستفزازهم وتكميلاً لمشوار تحقير العرب وتحقير مقدَّساتهم...

فماذا ينتظر العرب أكثر من ذَلكَ حَتَّى ينتفضوا؟

لو أن أنَّ العرب فعلوا ما كان يجب أن يفعلوه عندما أعلنت فضيحة تدنيس القرآن الكريم في چوانتانامو لما تجرَّأ الصَّهاينة على القرآن الكريم مرَّةً ثانيةً بالطريقة ذاتها تقريباً.

لـو أنَّ العـرب انتفضـوا وفعلـوا مـا كـان يجـب أن يفعلـوه عنـدما أعلنـت فضـائح سـجن أبـو غريـب مـن ممارسـاتٍ تعذيبيَّـةٍ إذلاليَّـة بشـعة ضـدَّ العـراقيين لمـا تجـرَّأ الأمريكيَّـون ذاتهـم علـى اقتحـام المسـاجد ورسـم الصُّـلبان علـى جـدرانها وعلى نسخ القرآن الكريم.

لو أنَّ العرب انتفضوا لشرفهم وكرامتهم عندما رأوا صور الجنود الأمريكيين وهم يغتصبون النِّساء العراقيَّات، ومن قذارتهم صوروا هٰذا الاغتصاب وعمَّموه على شبكة المعلومات الدولية... لما تجرأ الأمريكيون والصهاينة على الاعتداء على مقدَّسات العرب وكرامتهم.

لو أنَّ العرب احتجوا بما يكفي من الاحتجاج عندما حول الكيان الصهيوني المساجد إلى خمَّارات وكبريهات لما تجرأ الأمريكيون على تدنيس القرآن الكريم واغتصاب العراقيات الماجدات.

ماذا نعدُّ أكثر من ذَلكَ؟

وهل بعد ذَلكَ ما يستحقُّ أن يذكر أَو يستشهد به؟

هل ثَمَّةَ ما هو أعظم من ذَلكَ وأخطر؟

فماذا ينتظر العرب حَتَّى ينتفضوا ويرفعوا الذُّلَّ عن رؤوسهم؟

لأوَّل مرَّةٍ في تاريخ الإسلام يتمَّ الاعتداء الصَّريح على القرآن الكريم بهٰذه الطَّريقة البشعة القذرة... غاية ما كانوا يستطيعونه هو أن يقولوا إنَّ القرآن هو كلام **محمد** العربي، واليوم حَتَّى يرفعوا القداسة عنه ويؤكدوا أنَّهُ أنَّ كلام بدوي عربي وليس كلام الله هو قيامهم بتدنيسه وتمزيقه والتبول عليه، فلو كان كلام الله لدافع الله عنه بمعجزاته. هٰذا بعض ما يريدون الوصول إليه. فهل سيقتنع العرب بذَلكَ ويقتنعون بأنَّ الإسلام لعبة لا أكثر؟ هل سيتركون لله عزَّ وجلَّ أن يدافع عن قرآنه؟

إذا تركوا لله أن يدافع عن قرآنه وليس ذَلكَ على الله بعزيز، فمن سيدافع عن نسائهم وهي تئنُّ تحت الجنود الأمريكيين والصهاينة كما شاهدنا في صور اغتصاب العراقيات من دون أن نفعل شيئاً؟؟

إذا تركوا لله أن يدافع عن قرآنه وليس ذَلكَ عليه بعزيزٍ، فمن يدافع عنهم وهم يلزمون على أن يغتصبوا بعضهم بعضاً، أو أقاربهم المقربين؟

ماذا سيكون شعور الواحد منهم عندما ترفع العصابة عن عينيه ليجد ابنه أَو أخاه أَو شقيقه في حضنه...

متى يستيقظ العرب؟

متى يصحوا العرب من استغراقهم في نومهم هٰذا؟

كل هٰذا حدث ويحدث في فلسطين والبوسنة والعراق وأفغانستان وچوانتانامو... فماذا ننتظر؟

إن كنَّا ننتظر ما هو أعظم وأخطر فلا أظن أنَّ ثَمَّةَ ما هو أعظم وأخطر... ليس هناك ما أعظم من ذَلكَ فلا تنتظروا، إمَّا أن تنفجروا أَو أن تنفجروا.. فاختاروا وانفجروا.

دمشق في ٢٠٠٥/٦/٩م

الفصل الثامن

الواقعية اللاواقعية

في لقائه اليوم في مزرعته الخاصة بتكساس مع **شارون** رئيس وزراء الكيان الصهيوني يوم الاثنين ٢٠٠٥/٤/١١م أعلن الرَّئيس الأمريكي **جورج بوش الابن** «أَنَّهُ من غير الواقعي توقع عودة إسرائيل إلى حدود ١٩٤٩م». ورُبَّما لذلك، أي لضمان القبول بهذه الواقعيَّة الَّتي تُمكِّن الكيان الصهيوني من عدم الانسحاب إلى حدود ١٩٤٨م، اضطر في الإعلان ذاته إلى مطالبه الفلسطينيين بتفكيك ما أسماها المجموعات المسلَّحة التي تستهدف إسرائيل. ويقصد بذلكَ من تسمِّيهم الولايات المتحدة ذاتها و**جورج بوش الابن** ذاته بالإرهابيين، وصنفتهم الولايات المتحدة بالمنظمات الإرهابيَّة، وتفرض على دول العالم جميعها أن تصفهم بالإرهابيين.

صحيحٌ أنَّ المشكلة كبيرةٌ في هذه المطالبة بالواقعيَّة اللاواقعيَّة من قبل **بوش الابن** ولكنَّ المشكلة الأكبر والأعظم تكمن في أنَّها ليست المرَّة الأولى التي يعلن

فيها الأمريكيون عدم اقتناعهم بإمكانيَّة انسحاب إسرائيل من الأراضي التي احتلتها بعد عام ١٩٤٨م. ناهيك عن أنَّ **شارون** تحديداً وغيره من المسؤولين الصَّهاينة أيضاً قد أعلنوا ذلك غير مرَّةٍ، بل مرَّات كثيرةٍ جدًّا بصراحةٍ ووضوحٍ تامين لا يقبلان أي لَبْسٍ أَو شكٍّ، ومارسوا ويمارسون على أرض الواقع ما يؤكِّد عدم نيتهم في الانسحاب من الأراضي التي احتلوها في عام ١٩٦٧م.

المشكلة الأكبر من ذَلكَ أنَّ الولايات المتحدة تطالب العرب بالإقدام على التَّفاوض وتحقيق السَّلام مع إسرائيل، فأيُّ سلام يمكن أن يكون مع إسرائيل وهي تعلن وتعلن معها حاميتها الولايات المتحدة الأمريكيَّة عدم الانسحاب من الأراضي التي احتلتها بعد عام ١٩٤٨م، بغضِّ النَّظر عن الموقف مما قبل ذَلكَ، وهي الأراضي الَّتي بُني مؤتمر السَّلام عليها، وهي الأراضي التي فيها قرارات دوليَّة قاطعة في أنَّها أرض محتلة يجب على الكيان الصهيوني الانسحاب منها؟

كيف وبأيِّ معنًى يمكن يكون هناك سلامٌ مع اغتصاب الأرض والحقِّ؟ وهل قبلت بذَلكَ دولةٌ في العالم كلِّه حَتَّى ولو كانت صغيرةً لا تُرى على الخارطة؟ ولماذا يطلب من أُمَّتنا وحدها من دون أمم الأرض قاطبة أن تقبل بالواقعيَّة اللاواقعيَّة وتتنازل عن أرضها وتقيم أطيب العلاقات وأحلاها مع غاصب أرضها ومغتصب كرامتها؟

المشكلة الأكبر من ذَلكَ أيضاً أنَّ الولايات المتحدة الميمونة تدجِّج إسرائيل بأنواع الأسلحة كلها حَتَّى النَّوويَّة وتطالبنا بنزع أسحلتنا كاملة، حَتَّى سكاكين المطابخ، وتطالبنا مع ذَلكَ بالقبول باحتلال إسرائيل أرضنا، ناهيك عن المطالبة بالقبول بالرِّضا الكامل، مع الامتنان، بكلِّ الممارسات التي تقوم قوات الاحتلال من قتلٍ وهدمٍ وتدميرٍ ومجازر!! وترى أنَّ أيَّ ردَّ فعل عربيٍّ على ذَلكَ، مهما صغر،

هـو إرهـاب أَو تطـرف أَو كليهمـا معـاً، في حـين تـرى في السـلوكات الوحشـية الصهيونية عين الدِّيمقراطية والإنسانيَّة.

أيُّ أمَّةٍ في الأرض وأيُّ شعبٍ يمكن أن يقبل بذَلكَ؟

بغض النَّظر عن قوانين (الشَّرعية الدُّوليَّة) التي تجيز مقاومة المحتل، وتعدُّ ذَلكَ مقاومة شرعيَّة. لماذا كان من حقِّ الفرنسيين مقاومة المحتل الألماني؟ وبأي حقٍّ قاوم الأمريكيون من أجل الاستقلال وهم في الأصل أبناء الاستعمار الذي جاء بهم من أوربا إلى العالم الجديد؟

إنَّ الشَّعب الذي لا يقاوم المحتل شعب بلا شرف ولا كرامة، و الأمَّة التي لا تحـارب المحتـل أمَّـة لا قيمـة لهـا، ولا تسـتحق أن تعـيش... ولـذَلك انمحـت كـلُّ الشُّعوب والأمم التي لم تقاوم من احتلها وزالت من الوجود؛ زالت من الوجود لأنَّها لا تستحقُّ الوجود.

المشـكلة الأكـبر مـن ذَلـكَ كلِّه أنَّ الحكـام العـرب يتسـابقون علـى الاقتنـاع بواقعيَّـة اللاواقعيَّـة، وتقـديم فـروض الطاعـة لصـاحبة الجلالـة الأمريكيَّـة، ويفككـون أسلحتهم، ويعطون أسرارها للكيان الصهيوني، ويتسابقون على التطبيع المجاني الذي يكرس العنجهية الصهيونيَّة والتمسك الصهيوني بالأرض العربيَّة...

معظم الدول العربيَّة اليوم، ومنذ زمن غير قريب، تنظر إلى الكيان الصهيوني على أنَّهُ أعز أخ وأخلص صديق، ولا ترى في الولايات المتحدة الأمريكية إلا الأب الرحيم العاطف الحاني... في حين أنَّ هذه الدول لا تقيم علاقة طيبة مع أيِّ دولةٍ عربيَّة أخرى لمدةٍ تزيد عن ثلاثة أشهر، وكأنَّ العلاقات العربيَّة العربيَّة علاقات موسميَّة؛ إن كانت صيفيَّة لا يجوز أن شتوية ولا خريفيَّة ولا ربيعيَّة... وإن كانت خريفيَّة فإنَّها لا تصحُّ في الأجواء الربيعيَّة وتفسدها حرارة الصيف!!!

إنَّ ما يعبِّر عن حال العرب اليوم هو مرضهم بقصر النظر العيني والعقلي والقلبي؛ فلا هم يفرحون ولا هم يحزنون ولا هم يفهمون!!! يضحكون ويقهقهون في التعازي والأحزان والمخازي، وينـدبون في الأفراح والليالي الملاح!!!

إنَّ الشَّعب العربي، والأمَّة العربيَّة، مفعمان بأنبل القيم، وأشرفها، وجديران بالحياة؛ أفضل حياة. فإذا لم يكن الحكام العرب مقتنعين بذَلكَ، أَو لا يريدون له أن يكون، فعليهم أن يرحلوا ويتركوا الشَّعب يتصرف، وعلى الشَّعب، على أيِّ حالٍ، أن يتصرف لأنَّ أعداء الشعب، أعداء الأمة، لن يتركوا له فرصة راحةٍ، لن يتركوا للأمة شيئاً من الشرف ولا الكرامة.

وعلى من كان يؤمن بأنَّ حكومة الولايات المتحدة يمكن أن تكون صديقاً فعليه أن يعيد حساباته لأنَّهُ إما أن يكون مُضللاً، أَو فهم الأمور خطأ، وإلاَّ فعلينا أن نشكَّ فيه من جانبين أَو أحدهما على الأقل.

دمشق في ٢٠٠٥/٤/١١م

الفصل التاسع

بين الحرية والإرهاب

مرَّةً أخرى نعود إلى فكرة التَّصريحات والخطابات الأمريكيَّة والصهيونيَّة ونقول: لو أنَّنا تابعنا هٰذه التَّصريحات والخطابات، وعلينا فعل ذٰلكَ وجوباً لا تفريط فيه، لوجدنا في أيِّ خطابٍ أَو تصريحٍ للمسؤولين الأمريكيين والصَّهاينة ما يلهم بكثيرٍ جدًّا من المقالات، بل أقول ما يجب علينا أن نفصِّله ونناقشه بكثيرٍ من المقالات، لا للدحض لأنَّهَا أصلاً لا تستحقُّ الدَّحض من شدَّة مفارقتها المنطق والواقع، وإنَّما على الأقل لتسجيلها للتَّاريخ، فإن لم نحتج إليها نحن فسيحتاجها أبناؤنا قريباً، يجب أن نسجل لمن يأتي بعدنا تاريخنا المخزي اليوم ليعرفوا كيف يثأروا لكرامتنا المهدورة التي مازلنا عاجزين عن الدفاع عنها.

كرامتنا مسلوبةٌ، عزَّتنا مصلوبةٌ، ونحن نتفرج عليها وكأنها كرامة أعدائنا أَو عزة خصومنا، نشمت بصلبها ونتشفى بسلبها.

لا مبالغة في ذلك أبداً، ففي أيِّ خطابٍ وتصريحٍ من مسؤولٍ أمريكيٍّ أَو صهيونيٍّ تصفع كرامتنا مئة ألف صفعةٍ، وتُحتقر عقولنا احتقاراً تتمرد من أجل مثله البهائم. ومع ذَلكَ لا نتحرك، بل ونتمسَّح بأردان العم سام؛ السيد الأمريكي.

اليوم الحادي والثلاثون من تموز ٢٠٠٦م خطب الرئيس الأمريكي **جورج بوش الصغير** في فلوريدا خطاباً انطوى على الكثير مما يستحقُّ التعليق ويقدِّم نتائج كثيرة خطيرة. نقف في هذا المقال عند واحدة من الأفكار التي انطوى عليه هذا الخطاب، وهي ليست الوحيدة التي يجب الوقوف عندها على أيِّ حال.

مع ما أشرنا إليه أكثر من مرة، ومع ما يعرفه الجميع اليوم، لا بُدَّ من التَّذكير بالصورة:

منذ الثاني عشر من تموز عام ٢٠٠٦م بدأ الكيان الصهيوني بشنِّ حربه العدوانيَّة الدمويَّة الهمجيَّة على لبنان، مستخدماً كلَّ أنواع الأسلحة، مستهدفاً كلَّ شيء في لبنان؛ كلَّ شيءٍ بلا استثناء تقريباً، دمَّر المنازل، الطرق، الجسور، المشافي، قصف سيارات الإسعاف، مئات القتلي أكثرهم من الأطفال دون العاشرة، مجازر جماعيَّة للمدنيين، للفارين تحت القصف، للمختبئين في الملاجئ، للعمال في الحقول...

سلسلة العدِّ لا تنتهي في حقيقة الأمر لأنَّ أيَّ بلاغة أعجز عن وصف ما يدور. وفي المقابل من ذَلكَ كانت المقاومة تدافع عن لبنان أداء لواجبها، ومع كلِّ الدَّمويَّة والهمجيَّة الصهيونيَّة ظلَّت المقاومة تمارس حربها بأخلاق الفرسان والنُّبلاء إلا في قليلٍ من الضرورات مع قدرتها. وعلى الرَّغْمِ من قدرة المقاومة اللبنانية أي حزب الله الذي احتكر وحده المقاومة

في لبنان، وقد أثبتت ذلك عمليًّا، على استهداف المدنيين، والمنشآت التي يعرض استهدافها إلى مخاطر على السكان، فقد ظلَّ حزب الله على حَتَّى اليوم يدأب على ألاَّ يستهدف إلا الجنود المقاتلين، وقد أثبتت الإحصاءات أن القتلى الذي ماتوا في القصف الذي يقوم به حزب الله أكثرهم من العسكريين بل العسكريين المقاتلين على الجبهة. خلاف ضحايا العدو الصهيوني الذي كان كلُّ ضحاياه من الأطفال الصغار والأبرياء الذين لا علاقة لهم بالعير ولا بالنفير.

نحو ألف قتيل لبنان حَتَّى اليوم، ناهيك عن آلاف الجرحى، كلهم مدنيون ومعظمهم من الأطفال، وليس بَيْنَ الكل إلا أقلَّ أقلَّ من العُشر من العسكريين وجنود المقاومة... بارع الكيان الصهيوني في البعد عن مقاومي حزب الله واستهداف المدنيين.

لا أحد يحتاج ليقتنع بهذه الحقيقة سوى أن يقف ربع ساعة أمام أيِّ شاشة يوميًّا، اللهم إذا كانت شاشة فيها نصف إنصاف.

ومع وضوح هٰذه الحقائق وضوح الشمس في رابعة نهار صيفيٍّ، ومع وضوحها وضوحاً يفقأ عين أيِّ جاحدٍ. يخرج علينا السيد **جورج بوش الصغير** اليوم الاثنين ٣١ تموز ٢٠٠٦م ليخطب بنا وبالعالم الأعمى الذي يصدق دجله وتزييفه الحقائق ويقول: «هٰذه الحرب الدائرة في لبنان هي حرب بَيْنَ الحرية والإرهاب في الشَّرق الأوسط». والعالم الغربي الأعمى الذي يشاهد معنا كلَّ هٰذه الحقائق مقتنع بأنَّ الكيان الصهيوني المحتل يمثل الحريَّة، والإرهاب هو نحن العرب!!!

هل هٰذه هي الحقيقة يا سيد **بوش؟**

بربك الذي تتوهم أَنَّهُ يأتيك بالمنام هل تؤمن أنَّ هٰذه هي الحقيقة؟

هل أنت مقتنع بأنَّ هٰذه هي الحقيقة؟

إذ كنت كذلك فلا شكَّ في أنك تحتاج إلى طبيب؟

جورج بوش الصغير يدير معركة ومن حقِّه أن يزيف الحقائق، ويقلبها كيفما شاء، ولكن ما بال أمم الأرض التي تفوق المليارات الستة؟! أيعقل أنَّ هذه المليارات الستة تقبل التسليم بمصدر واحدٍ للأخبار لا تتجاوزه ولا تفكِّر لحظة في الانتقال إلى مصدر آخر؟

مأساتنا اليوم، مع هٰذا العدوان على لبنان، وقبله على فلسطين، وبينهما على العراق، أنَّ الصور وحدها كافيةٌ لنقل الحقيقة، كافيةٌ بجدارةٍ وامتيازٍ لتفرض على أيِّ تنبل كسول أن يتجاوز (تنبلته) وتكاسله ليفكر في البحث عن الحقيقة.

على أيِّ حالٍ، ما لنا ولغيرنا، كما كان من حقِّ **بوش** أن يخطِّط ويدبر، كذٰلكَ من حقِّ الغربي أن يفرح لقتلنا كما يفعل اليوم، ألسنا خصومه وأعداءه كما تلقنهم الثقافة الرسمية الغربيَّة؟ فلماذا لا يفرح من هزائمنا المتتالية؟ وما الذي يدعوه للبحث عن الحقيقة والحقيقة التي يريدنا أننا ننهزم؟ هل هو مضطر للدفاع عنا؟ هل هو المطالب بالدفاع عنا؟

كلا أَيُّهَا السادة.

ليس المطلوب من الغربي أبداً أن يقوم بأكثر مما يقوم به.

ولكن هل وصلنا إلى درجة من التفاهة والسفالة والندالة أن نستلذ بالجلد الغربي لنا واحداً واحداً، وصلبنا على أفخاذ العهر والفجور، وبعد نطالب الغربيين أن يعبروا عن حقوقونا ويدافعوا عنها؟؟

هل وصلنا إلى هٰذه الدرجة فعلاً؟

إن ما يبدو هو أنَّنا وصلنا إلى هذه المرحلة. وإلا كيف نفسر أنَّ أكثر من دولة غربيَّة مستنفرة منذ نحو الشهر في مفاوضات ومؤتمرات ومساجلات لحلِّ أزمة الحرب الدائرة اليوم، فيما العرب لا وجود لهم، ولا صوت، ولا اقتراح... ولا حَتَّى سعلة أَو نحنحة توحي بأنَّهم موجودون. وكأنَّ لبنان جزء من نيفادا وإسرائيل جزء من كاليفورنيا.

فماذا ننتظر؟

وهل سيطول الانتظار؟

دمشق في ٢٠٠٦/٦/٣١م

الفصل العاشر

واشنطن تحدد شروط الاتهام

على واشنطن أن تأمر وعلى العرب أن يطيعوا

من الخطأ الكبير أن نبرئ أنفسنا من التَّقصير. لا شكَّ في أنَّ أمَّتنا مقصِّرةٌ والتقصير من مختلف المستويات والمسؤوليَّات، ومن يحاول القول إنَّنا غير مقصِّرين ليس إلا كمن يحاول أن يحجب أشعة الشَّمس بغربال.

ولٰكن في الوقت ذاته نستغرب الاستغراب ذاته ممن يحاول القول إنَّ الغرب عامَّة والولايات المتحدة خاصَّة لا تمارس ضغوطها وتدخلاتها السَّفيهة السَّافرة في شؤون أمتنا الداخلية والخارجيَّة.

الأمثلة على الصورة من هٰذين الجانبين كثيرةٌ وكثيرةٌ جدًّا، وقد تحدَّثنا عن بعضها في أكثر من مرَّة وأكثر من مكان، ونستكمل هٰذا الحديث

فيما حدث اليوم، فما حدث اليوم الجمعة الرابع والعشرون من شباط ٢٠٠٦م هو الحكومة اليمنية رفضت طلب واشنطن باعتقال الشيخ **عبد المجيد الزنداني**، وطلبت الحكومة اليمنية من واشنطن تقديم الأدلة اللازمة لاعتقال الشيخ **الزنداني**.

موقف الحكومة اليمنية هٰذا حَتَّى اللحظة يستحقُّ التقدير مهما كانت دوافعه. ولكن ليس هٰذا الموضوع الذي نسعى إلى توضيحه.

ما الذي فعله **الزنداني** حَتَّى تطالب الولايات المتحدة باعتقاله؟ وإلى متى يمكن أن يكون هٰذا الاعتقال؟

يبدو من صيغة الاعتراض اليمني أنَّ طلب الولايات المتحدة لم يكن مشفوعاً بأيِّ شرحٍ أو تفصيلٍ أَو أدلة أو حَتَّى أشباه أدلةٍ تسمح باعتقال الشَّيخ **الزنداني، وإن كنا في العالم العربي لا نحتاج إلى أيِّ أدلة لإلقاء القبض على أي واحد**. هٰذا يعني أنَّ الحكومة اليمنيَّة على درجةٍ من الحرج كبيرةٍ أمام اعتقال الشيخ **الزنداني**، لأنَّها لو كانت تريد أو تستطيع اعتقاله، وعندها أدنى دليلٍ يسوِّغ لها ذَلكَ لما قصَّرت وأحرجت نفسها مع صاحبة الجلالة الولايات المتحدة. أي في المحصلة أن الرجل أكبر بكثير من أي شبه تسمح باعتقاله!!

فلماذا تريد الولايات المتحدة اعتقاله؟

الحقيقة هي أنَّها لا تريد الشيخ **الزنداني** وإنَّما تريد أن تملي الأوامر فقط. ولذلك لم تكن تطلب من اليمني من باب التمني أو الرجاء اعتقال **الزنداني**، وإلا لكانت قدَّمت بعض أَو كل ما يسوغ الاعتقال. إنَّ ما فعلته الولايات المتحدة مع اليمن هي أنَّها أمرتها بإحضار **الزنداني** موجوداً، أي الأمر هو تكريس علاقة تابعٍ

بمتبوع، سيدٍ بعبدٍ، ولا يناقش التابعُ المتبوعَ، ولا يناقش العبدُ سيده. أي بمعنى آخر نحن أمام إلغاء سيادة الدول العربية ومحوها أمام سيادة الدولة الأمريكية، فالولايات المتحدة تصدر الأوامر والعرب لا خيار لهم إلا الطاعة، الطاعة من دون سؤال أَو نقاش أَو جدال. وإلاَّ ما معنى أن تطلب دولة من دولةٍ إلقاء القبض على رجل لا هو بالمدان، ولا دليل على إدانته.

مرَّةً أخرى إنَّ اليمن رفضت علناً هٰذا الطلب، وأن ترفض **علناً** ليس أمراً سهلاً وله مؤشراته الخطيرة والكبيرة، ذٰلكَ أنَّنا نتساءل عمَّا يحدث في الخفاء من حوادث مشابهةٍ في دول عربية أخرى لا تعلن شيئاً عن هٰذه الأوامر وردودها على هٰذه الأوامر.

هنا نتذكَّر ما تمَّ فضحه بعد فوات الأوان عن إصدار مثل الأمر إلى أجهزة الأمن الإماراتية لاعتقال اللبناني **زياد الجراح** فور نزوله من الطائرة في الإمارات، وإصدار الأمر بعد يومين، بعد أن تبين أنَّهُ متجهاً إلى الولايات المتحدة، بالإفراج عنه. وعلمنا في الخبر ذاته أنَّهُ صار أحد المشتركين في عملية الحادي عشر من أيلول.

لم تخبرنا الإمارات العربية عن ذٰلكَ وإنَّما التَّحقيقات الأمريكية هي التي كشفت ذٰلكَ. ما مصلحتها، ولماذا أرادت له أن يتوجه إلى الولايات المتحدة؟! أمر يحتاج إلى وقفة تأمل. ولٰكنَّ الذي نعرفه أنَّ الأمر صدر مثلما صدر أمر اعتقال الشيخ **الزنداني** من دون أدلة ومن دون أيِّ مسوغات، فقط يطلب إليكم إلقاء القبض على **الجراح**.

قصة اعتقال **الجراح** تذكرنا بطلب الولايات المتحدة من إسبانيا اعتقال **تيسير علوني** قبل أحداث أيلول بثلاثة أشهر ووضعه تحت المراقبة، ولٰكنَّ القاضي

حينها رفض التَّنفيذ وردَّ الطلب لأنَّهُ لا يوجد من الأدلة ما يجيز اعتقاله أَو وضعه تحت المراقبة.

هٰذه النَّماذج تضعنا أمام تساؤل عريضٍ جدًّا: ترى ماذا يحدث في كواليس الدول المطيعة للولايات المتحدة من اعتقالات وتلبية طلبات؟! وما الطلبات التي تطلبها الولايات المتحدة من هٰذه الدول، بل بأيِّ صيغة من صيغ الأمر تتعامل معها؟!

ما يجب أن يكون حاضراً في ذهننا هنا هو أنَّنا لا نتوجه بأيِّ لوم أَو عتبٍ على الولايات المتحدة الأمريكيَّة لأنَّهُ من حقِّها بل من واجبها أن تعزِّز سيادتها وتكرس مصالحها، وهٰذا ما يجب أن نفهمه تماماً في تعاملنا مع السياسة الأمريكية في العالم عامة والعالم العربي خاصَّةً. وإنَّما اللوم والعتب والاحتجاج والاستنكار والإدانة يجب أن تكون كلها موجَّهةً للدول العربيَّة التي يبدو أنَّها مصابة بعقدة المازوخيَّة لأنَّها تلتذ بأنواع الإذلال والتحقير والتعذيب التي تمارسها الولايات المتحدة ضدها، ولا تكتفي بالالتذاذ بهٰذا التَّحقير والتسفيه... بل تطلب المزيد.

لسنا بحاجةٍ إلى تأكيد أننا أكبر من ذٰلكَ بكثير، وأننا قادرون على أن ندافع عن أنفسنا بكلِّ جدارةٍ... فهٰذه حقائق بحكم المسلمات، والواقع يشهد بكثير من ذٰلكَ بَيْنَ الحين والحين. فإلى متى سنظلُّ رهائن حكومات وحكامٍ خونةٍ بالعمالة المباشرة أَو غير المباشرة.

إنَّ ممارسات الحكومات والحكام العرب اليوم، ومنذ زمن غير قليل، أحالت أمَّتنا بكل ما فيها من قدرات وإمكانات وقوى... من أمَّة قادرةٍ على المعجزات إلى أمَّة مشلولةٍ تشبه جثةً على مزبلةٍ، تنهشها الكلاب وهي لا حول ولا قوة.

ما نشهده من وقائع وممارسات كل يومٍ من الحكومات والحكَّام العرب، ومن الولايات المتحدة الأمريكيَّة مع أمَّتنا يؤكِّد بما يقطع دابر أيِّ شكٍّ، وبما لا يقبل أيَّ جدالٍ أننا أمَّةٌ مشلولةٌ، أننا جثَّة وربَّما جيفةٌ تتقاذفها الكواسر والجوارح بل جثة تنهشها الكلاب والقطط... ليس فقط.

فهل سنظل كذَلكَ؟ وإلى متى سنظل كذَلكَ؟

دمشق الجمعة ٢٤ شباط ٢٠٠٦

الفصل الحادي عشر
العرب عنصر فائض في نظر الغرب

عندما صنف **ماندلييف** العناصر الطَّبيعية وجد بعض المساحات الفارغة فافترض وجود عناصر غير مكتشفةٍ من عناصر الطَّبيعة ويوماً بعد يوم اكتشفت هٰذه العناصر عنصراً فآخر حَتَّى وصل الأمر إلى تركيب عناصر جديدةٍ، ووصل بعده إلى اللعب بتركيب العناصر وتحويلها من عنصر إلى آخر.

ما افترضه **ماندلييف** منطقيٌّ، وبالمنطق تابع العلماء عندما راحوا يبحثون عن العناصر التي افترض **ماندلييف** وجودها، وتجاوز الأمر المنطق عندما راح العلماء يركِّبون عناصرَ جديدةً، ولٰكنَّهُم خدموا البشريَّة من خلال هٰذه الاختراعات، فتحوَّل الوثب فوق المنطق إلى منطق عندما أدركنا أنَّ هٰذا الإيمان بعدم كفاية العناصر الطبيعيَّة كان عاملاً حاسماً من عوامل تطور البشريَّة، وكذٰلكَ الأمر كان في

الوثب الثاني فوق المنطق الذي سعى العلماء، وما زالوا، إلى اللعب بتركيب العناصر الطبيعيَّة.

العلماء يؤمنون أنَّ عناصر الطبيعة على تنوعها وكثرتها وغناها وكفايتها غير كافيةٍ لري ظمأ الإنسان للفعل والتغيير والتبديل والتعديل والتحديث والتطوير... ولذلك راحوا يزيدون هٰذه العناصر ويولدون منها العناصر الجديدة التي لم تخطر قبل في البال.

هٰذا العقل الإنساني ذاته الذي يُغني الطبيعة والوجود يعمى فجأة ويتناقض مع ذاته وطبيعته تناقضاً عجيباً يصدع الرأس بل بشقه نصفين لو وعى ما دار ضمنه ولو بعد دهر. فهٰذا العقل الذي آمن بعدم كفاية عناصر الطبيعة وراح يزيدها ويزيدها ويولد منها العجيب الغريب، ويستنسخ من البشر جنساً جديداً وهوية جديدةً وعنصراً جديداً يتعامل مع العرب خاصَّةً ومعهم المسلمون في أكثر الأحيان على أنهم عنصر فائض لا قيمة له إن وجد، ولا قيمة له إن غاب، بل يتعاملون مع العرب على أنهم عنصر يجب التَّعود على الاستغناء عنه، رُبَّما بقصد إزالته من الوجود في إمَّا بالتَّدريج أو في أوَّل فرصةٍ تتاح لحذف هٰذا العنصر من الوجود.

لو كان العرب أمَّةً نافلةً، أو طارئةً على الحضارة، أو غريبةً على التَّاريخ، لو كان العرب جنساً بشريًّا ولٰكنَّهُ مفارقٌ بشكله أَو لونه أَو تركيبته الفيزيولوجية... لكان في الأمر ما يمكن أن ينظر فيه، وإن كان من العار على العقل البشري قبول التفكير في مثل هٰذا الأمر؛ أمر حذف أمة من البشر من الوجود مهما كان العذر أَو الذريعة. ومع ذٰلكَ نقول لو كان العرب عرقاً نشازاً في شيءٍ لسرنا في أمر التَّفكير في هٰذه الرَّغبة الغريبة وحاولنا أن نفهمه. بل لو أنَّ العرب مثل معظم أمم

الأرض أو الشُّعوب ظلَّت عالةً على البشريَّة منذ نشأت، أو أَنَّهَا لم تقدِّم للبشرية شيئاً لقبلنا أيضاً أنَّ نفكر في هٰذه الرَّغبة الغربيَّة في النَّظر إِلى العرب على أَنَّهُم عنصرٌ فائضٌ يجب التَّخلص منه. ولٰكنَّ العرب من أعرق الأمم على الأرض، ومن أكثر أمم الأرض خدمةً للبشرية، ومن أكثر أمم الأرض إنسانيَّة في التعامل مع الخصوم والأعداء، ومن أكثر أمم الأرض مروءة وشهامة على الرَّغْمِ من أنف الجاحدين، حسبنا أنَّ المنصفين من الغرب هم الذي أخرجوا هٰذه الحقائق وأعلنوها قبل أن يدعيها العرب لأنفسهم.

العرب أمَّةٌ يقترب عدد سكانها من نحو خمس سكان الأرض أَو أقلَّ قليلاً، وهي في المرتبة الرابعة أو الخامسة بَيْنَ الأمم من ناحية عدد السكان، فيما هناك مئات الأمم التي تليهم من ناحية عدد السكان، وهم يقفون بجدارة في طليعة الأمم التي خدمت البشرية، فمن بَيْنَ أصابعهم خرج التَّاريخ ونبع العلم وفاض الفن وظهرت الأبجدية... وعلى أكتاف علماء العرب وأعلامهم استند جزءٌ غير قليلٍ من حضارة الغرب قديماً أيَّام اليونان والرومان، وحديثاً في عصر النهضة الأوروبية، واليوم في أوروبا وأمريكا....

لماذا ينظر الغرب إِلى العرب على أَنَّهُ عنصر فائض، أو شيءٌ فائضٌ يجب التَّخلص منه؟

لا نبالغ أبداً في هٰذا الوصف، فكلُّ السُّلوك الغربي تجاه العرب في مختلف المشكلات والقضايا، وفي كلِّ الأقطار العربية؛ من مراكش إِلى عمان، يدلُّ على أنَّ الغرب يتمنَّى لو ينتفي وجود العرب من العالم، بل الشواهد تؤكِّد أنَّ الغرب عامَّة، مع مراعاة الاستثناءات، يسعى إِلى إلغاء الوجود العربي، إِلى حذفه مثل ملف في

الحاسوب لم يعد له قيمة، وقلَّ من لا يعلم ما وصل إليه حال تهميش العرب وإخراجهم من التَّاريخ على طريق إخراجهم من الجغرافيا...

مجازر يباعد فيها العشرات والمئات من العرب لا ينظر إليها الغرب، ولا ينتبه لها، بل يعدها حقًّا له، وواجب عليه، فيما خدش حياء غربي من قبل عربي جريمة شنعاء تجيش الجيوش لأجلها!!

الغرب ينهب ثرواتنا وخيارتنا ويعدُّ ذَلكَ حقٌّ له، بل واجب عليه، فيما يمنع العرب من امتلاك أيِّ تقانة من المستوى العاشر في أيِّ ميدان من الميادين!!

من عادة الغربيين منذ القديم أن يقتلوا الحصان إذا شاخ أَو لم يعد قادراً على العطاء، وليس هٰذا من طبع العرب ولا من عاداتهم، ولم تزل هٰذه العادة موجودةً عند الغربيين فإنَّهم إذا فرغوا من اللعبة دمَّروها، وإذا انتهى غرضهم من الآلة دمروها، وإذا صار مردود أيِّ شيء أقل من تكلفة أجره صار إعدامه محتوماً، وما زالوا إذا هرم الحصان أو لم يعد قادراً على العطاء يطلقون على رأسه رصاصة الرحمة! تخيلوا اسمها: رصاصة الرحمة، أو بمعنى آخر هي كلمة الشُّكر، بل هي مكافأة نهاية الخدمة؛ مكافأة نهاية الخدمة طلقة في الرأس!!

هل يريد الغربيُّون حذف الوجود العربيِّ من باب طلقة الرَّحمة أو مكافأة نهاية الخدمة؟

لو كان الغرب معترفاً بفضل العرب وتاريخهم وعطائهم للحضارة البشريَّة لأمكننا على مضضٍ لا يطاق أن نقبل التَّفكير في الظنِّ في أنَّهم يطلقون على رأس العرب طلقة الرحمة، أو مكافأة نهاية الخدمة. ولٰكنَّهُم لا يرون للعرب أيَّ فضلٍ أو أثرٍ أو قيمةٍ لا اليوم ولا فيما قد مضى من عمر الزمان، ولذٰلك لا يمكن

الظنُّ أنَّ الغرب ينظر إلى العرب على أنَّهُم عنصرٌ فائضٌ من باب طلقة الرحمة أَو مكافأة نهاية الخدمة.

لا نريد أن نطيل التَّحليل، سنقول باختصارٍ: هٰذه هي عادة الغربيين في المنافسة. سمَّاها **كارل ماركس** طبيعة الرأسمالي، أو طبيعة النِّظام الرأسمالي، ولو أراد الصَّواب لكان سَمَّاها طبيعة العقل الغربي؛ لا يقبل أن ينافسه الخصم، ولذٰلك لا يسعى فقط إلى إقصائه بل إلى محوه من الوجود منافساً.

هٰذا إذا كان المنافس غربيًّا مثله، أمَّا العلاقة مع العرب خاصَّةً والشَّرق عامَّةً فلها شأنٌ آخر، وأشجانٌ أخرى، يكفي حَتَّى نفتح باب فهمها أن نتذكر كيف يعامل الغربيُّ الغربيَّ المنافس له وفق مفهوم **كارل ماركس** الذي أشرنا إليه. ولننظر فيما مضى من التاريخ فإنَّ من لا يقرأ التاريخ لا يفهم الحاضر.

دمشق في ٢٠٠٨/٣/٧م

الفصل الثاني عشر
مقتل عربي آخر

في أخبار اليوم الحادي والعشرين من نيسان عام ٢٠٠٦م اختلافٌ وتضاربٌ في هويَّة قتيل بالباكستان. الأخبار تقول: مقتل عربيٍّ في الباكستان، والتَّضاربات في ذَلكَ تدور حول هل هو عربيٌّ حقًّا أم لا؟

وسائل الأنباء المختلفة تتابع على أرض الواقع في الباكستان للتَّأكد من أنَّهُ عربي أم لا! وظلَّ السؤال معلقاً من الصَّحافيين ووسائل الإعلام:

هل هو عربي فعلاً؟

ما هي خصائصه؟

ما هي مواصفاته؟

التَّعليق الملفت للانتباه هو تصريح مسؤولٍ أمنيٍّ باكستانيٍّ قائلاً: ليس لدي معلومات كافية. **كلُّ ما أستطيع تأكيده هو أننا قتلنا عربيًّا.**

وفي نشرة الأخبار ذاتها، على أكثر من محطة، يتابع المراسلون قائلين: **وثَمَّةَ أنباء تشير إلى مقتل عربي آخر مدينة بيشاور...**

هٰذا الكلام بهٰذه الطَّريقة وهٰذه المتابعة ليست جديدةً، فمنذ أحداث الحادي عشر من أيلول راحت تروج في وسائل الإعلام فكرة: مطاردة العرب، ومتابعة العرب، وملاحقة العرب، واعتقال العرب، والتضييق على العرب... حَتَّى صارت كلمة عربي في الأوساط الغربيَّة قرينة للإرهاب، والتخلف، والتطرف، والمطلوب رأسه على طريقة الكابوي الأمريكيَّة. وصار العرب في هٰذه الدول، وتنتقل العدوى إلى الدول العربيَّة ذاتها أيضاً، يتكنُّون بأقطارهم لا بعروبتهم؛ صار من الطَّبيعي جدًّا والمحبوب والمحبَّذ أن يقول المرء: أنا سوري، أنا مصري، أنا سعودي... ويشعر بالخوف والقلق من قوله: أنا عربي. بل رُبَّما بات يشعر بالعار من قوله: أنا عربي. لأنَّ فروة رأس العربي مطلوبة، العربي مطلوب رأسه للعدالة الدوليَّة...

هٰذا السُّلوك في حقيقته جزءٌ من الحملة على العروبة بغرض تفتيت الهويَّة العربيَّة وتكريس الانتماءات القطريَّة والقبليَّة والطائفيَّة وإحلالها محل الهويَّة العربيَّة، وما نشهده من ضغوط وتهديدات على الأقطار العربيَّة عامَّة، ومنها سوريا أنموذجاً الآن، من أجل ترسيم الحدود، وإقامة العلاقات الدبلوماسيَّة الرسميَّة، أي التَّعامل على الرَّسمي كما يقال في العاميَّة، هو خطى على طريق ترسيم الهويات القطريَّة للأقطار العربيَّة بوصفها هويَّات نهائيَّة.

ولكنَّ خطورة الأمر لا تقف عند تفتيت الهويَّة العربيَّة وحسب، إنَّها أبعد من ذٰلكَ بكثيرٍ وأخطر بما لا يطاق تحمله ولا تصوره، فأسلوب

التَّصوير الإعلامي للحدث، ويبدو الضَّبط الأمريكي واضحاً لإيقاعه ونمطيته وعباراته، لا يكتفي بتقزيم العربي وتحقيره وحسب، ولا بتحويله إلى مطلوبٍ رأسُه للعدالة وحسب، وإنَّما يحوله إلى طريدة تتسابق الدول والأفراد على مطاردتها والافتخار باصطيادها: **كلُّ ما أستطيع تأكيده هو أننا قتلنا عربيًّا**. من مات معه؟ كم مات معه؟ هل هو مجرم؟ هل هو نبي؟ هل هو شيطان؟... كلُّ ذَلكَ لا يهم أبداً. **كلُّ ما يهمُّ أنَّهُ تمَّ قتل عربيٍّ**. أيُّ عربيٍّ هو مجرم وإرهابي يستحقُّ القتل، قتله حلالٌ، بل قتله واجبٌ. ولاحظوا هنا مدى التَّقاطع مع العقيدة الصهيونيَّة في التعامل مع العرب. ولاحظوا مع ذَلكَ أيضاً أنَّ الإعلام العربي يتعاطى مع الأمر بمنتهى البراءة والطِّيبة بل بغاية السَّذاجة والغباء، وإن لم يكن غباءً فهو خيانة ولا احتمال آخر فيما أظن.

إعلامنا العربي يكرِّر بغباءٍ أَو خيانةٍ ما تقرِّره مراكز صنع القرار الغربيَّة من تحويل العربي إلى مطلوبٍ رأسُه ممن استطاع إلى ذَلكَ سبيلاً. حَتَّى صار مقتل العربي خبراً صحافيًّا متميزاً، وليس خبر اليوم هو الخبر الأول ولا الوحيد، فما أكثر ما تردد على أسماعنا مثل هٰذا الخبر، فقد سمعنا أكثر من مرَّةٍ عن ملاحقة العرب في أماكن معينة، وعن اعتقالات بالجملة والمفرق للعرب في أسقاع العالم المختلفة، وعن قتل بالخطأ لأشخاصٍ يشبهون العرب، وسمعنا أكثر من مرَّةٍ اعتذاراً من أكثر من دولة غربيَّة عن قتل هندي أَو برازيلي... **وكان الاعتذار مشفوعاً دائماً بأنَّ القتلة ظنُّوه عربيًّا!!!** لأنَّهُم ظنُّوه عربيًّا صار قتله حلالاً، بل واجباً. ولا عزاء للجبناء.

وطالما أنَّ الأمور تسير على هٰذه الوتيرة فيجب وجوباً لا شكَّ فيه أن لا نستبعد بعد أيَّامٍ أَو أشهر أن نسمع مراسلي وسائل الإعلام يتابعون الخبر قائلين: **وثَمَّةَ أنباء عن فرق صيد ذهبت لمطاردة بقايا العرب في مدينة كذا أَو كذا...**

قد يبدو في هٰذا التوقع مبالغة، ولٰكن استحضروا معنا سيرة الهنود الحمر في القارتين الأمريكيتين؛ عشرات الملايين أبيدوا برحلات صيد تستمع باصطيادهم مثل الثيران والغزلان، وبالرهان على سلخ أكبر عدد من فروات رؤوسهم بأقصر الأوقات وأسرعها...

بغضِّ النَّظر عن أنَّ الدراسات الأنثروبولوجية والأثريَّة تؤكِّد أنَّ الهنود الحمر هم من العرب الذين هاجروا إلى أمريكا قبل **كولومبوس** بمئات السنين ورُبَّما آلاف السنين آخرها الرحلة الثَّانية أو الثالثة التي قادها قادة المغرب العربي أيام الدولة الإسلاميَّة، وقبل آلاف السنين في الرحلة الأولى التي قادها الفينيقيون. وكلُّ ذٰلكَ مؤكَّد ولم يعد مثار شكٍّ أَو جدالٍ من خلال الحفريات والمكتشفات الأثريَّة والمعطيات والوثائق التاريخيَّة التي بات يجمعها أكثر مئة كتاب صدرت في القارتين من باحثين أمريكيين لا من باحثين عرب. ناهيك عن المذكرات التي كتبها بحارة **كولومبوس** التي ذكروا فيها عادات سكان أمريكا ولباسهم وطبائعهم وعباداتهم التي لا يشكُّ أحدٌ في أنَّها إسلاميَّة.

إذا لم تصدق كلُّ تلك الحقائق والوثائق فهي على الأقل درس، وإن صدقت فإنَّ العرب الذين سبقوا رعاة البقر أبيدوا في أمريكا بطريقة لا يمكن أن تغفر مهما طال الزمان، وها هم أحفاد رعاة البقر ذاتهم يأتون ليجهزوا على ما بقي من العرب في العالم بالطَّريقة ذاتها التي أبادوا بها عشرات الملايين من الهنود الحمر؛ الافتخار

بصيدهم مثل الأرانب والثيران والغزلان، وخروجهم في فرق أَو جماعات صيد لملاحقة العرب في أماكن وجودهم في العالم... ورُبَّما بعد ذَلكَ الدخول إلى مرابعهم وخيامهم من أجل تكملة القضاء عليهم بوصفهم على الأقل كائنات غير مرغوب في وجودها بَيْنَ البشر.

ولذَلك رُبَّما يكتب لنا أن نسمع في الأخبار عن مظاهرات لجمعيات حماية البيئة تطالب بالمحافظة على الجنس العربي في محميات طبيعية خوفاً عليهم من الانقراض.

هل ننتظر ذَلكَ اليوم؟

هل سننتظر جمعيات حماية البيئة لتدافع عن الوجود العربي.

الغرب لم يغير نظرته إلينا منذ نشأة جذوره الأولى في اليونان، في المرحلة الإغريقيَّة، ثُمَّ اليونانية، ثُمَّ الرومانيَّة، ثُمَّ في أوروبا العصور الوسطى، وأوروبا الاستعماريَّة، والعالم الغربي اليوم... لم يغيِّر نظرته إليها لا في حضيض تخلفه ولا في ذروة تقدُّمه. فهل نعوِّل على تغيير رأيه فينا الأمل؟

دمشق في ٢٠٠٦/٤/٢١م

الفصل الثالث عشر

فاشية الإسلام

يصرُّ **جورج بوش الصغير** وإدارته على الأقل على إتحافنا كلَّ يوم ورُبَّمَا كلَّ ساعة بتصريحٍ ينتزع الصبر والحلم والتسامح من أعماقنا انتزاعاً يتعذر ردم هوته.

اليوم الخميس العاشر من آب ٢٠٠٦م خطب جناب الرئيس الأمريكي **جورج بوش الصغير** بعنجهيَّة توحي بنشوة الانتصار باكتشاف ما لم يكن مكتشفاً من قبل وقال ولهذه المشاعر تسيطر على فيه: «إننا نحارب الفاشيَّة الإسلاميَّة».

لهذه العبارة لم تقل للمرة الأولى على الأقل من ناحية المضمون، ولم يبتدعها **جورج بوش الصغير** ورجاله، ولا بأس من التَّذكير ببداية إحيائها وليس ولادتها، إذ في المؤتمر الأول للنَّاتو بعد انهيار الاتحاد السوفيتي أعلن رئيس الحلف حينها على الملأ، وبلا خوف ولا خجل قائلاً: «لقد انتصرنا على عدونا التقليدي وسنتوجه

إلى عدونا القادم؛ عدونا القادم هو الإسلام». قال: عدونا القادم هو الإسلام ولم يقل المسلمين، ولم يقل التَّطرف الإسلامي، ولا الأصوليَّة الإسلاميَّة... الإسلام هو عدو الناتو.

إذن إعادة إحياء عداء الغرب للإسلام بدأت من أوسع باب، ومن ثمَّ من فإنَّ كلِّ محاولات الزَّعم بأنَّ العدو هم فقط الإرهابيون، أَو الأصوليون، أَو الجماعات الإسلاميَّة، أو بعض الجماعات الإسلاميَّة... ليس إلا ضرباً من ذرِّ الرَّماد في العيون. قيادة الغرب أعلنت منذ البداية صراحةً ووضوحاً، جهاراً نهاراً، أنَّ عدوهم القادم هو الإسلام، وأكَّد ذَلكَ السيد **جورج بوش الصغير** بعد عشر سنوات من ذاك المؤتمر إذ أعلن عقب أحداث الحادي عشر من أيلول انطلاق الحرب الصليبيَّة الجديدة. ومع ذَلكَ يحاولون إقناعنا بأنهم يعادون الحركات الأصوليَّة، يعادون الأصولية، يعادون التطرف... ووصلوا الآن إلى وصف الإسلام بالفاشيَّة.

إذا عدنا إلى تاريخيَّة هٰذه التَّصريحات وما ارتبط بها من ممارسة غربيَّة وجدنا مسألتين:

أولاً: نقطة الانطلاق، وإن كانت إحيائية وليست جديدةً، كانت من أوسع الأبواب. ولٰكن مع ذَلكَ ما إن استقرت الأمور بعد انهيار الاتِّحاد السوفيتي حَتَّى بدأت محاربة العالم الإسلامي أَو الإسلام، تتصاعد في استخدام الاصطلاحات والتَّوصيفات. بدأ الغرب بصناعة هٰذه الاصطلاحات وتصديرها إلى رجالاته وأزلامه، ناهيك عن قيامه هو باستخدامها وترويجها. بدأ الأمر بمحاربة السلفيَّة الإسلاميَّة، وتشويه هٰذا الاصطلاح بمقابلته مع التَّقدميَّة. دافع بعضهم عن هٰذا الاصطلاح وأبان دلالاته، ولكِنَّهُ كان قد نال حقَّه من التَّشويه الذي بات معه أمراً

ممجوجاً. فانتقلوا إلى الخطوة التَّالية بترك السلفيَّة ومحاربة الأصوليَّة، وكذلكَ كان الشَّأن من ناحية كون التَّمسُّك بالأصول أمراً لا عيب فيه. فانتقلوا إلى استخدام الإرهاب والدَّعوة لمحاربة الإرهاب الإسلامي... ووصلنا أخيراً إلى إعلانهم أنَّهم يحاربون الفاشية الإسلاميَّة على لسان زعيم العالم الغربي الكبير السيد **جورج بوش الصغير**.

ثانياً: في ظلِّ كلِّ هٰذا التَّصعيد في تشويه الاصطلاحات والمفاهيم ظلَّت حقيقةٌ واحدةٌ ملازمةً لهٰذا التَّصعيد من ناحية الممارسة الغربيَّة المباشرة، وغير المباشرة الصَّادرة عن أتباع السِّياسة الغربيَّة ومنفِّذي خططها في الشَّرق إلى جانب بعض من التَّقليد الأعمى غير المحسوب.

هٰذه الحقيقة التي لازمت كلَّ هٰذا التصعيد هي أنَّهُ دائماً، وفي كلِّ خطوة كان المتهم الذي يلبسه المفهوم المحارب هو أيُّ مسلم عامَّة وأيُّ عربي خاصَّة، ويبرأ من هٰذا الاتهام أيُّ عربيٍّ أَو مسلمٍ يناصب الإسلام العداء بطريقة أَو بأخرى. ولن نبتعد كثيراً في الشَّواهد حسبنا الرجوع إلى كلِّ ما حدث بعد الحادي عشر من أيلول، فكل الممارسات الغربية منذ ذٰلكَ اليوم وحَتَّى اليوم تقوم على أنَّ أيَّ عربيٍّ متَّهمٌ بل مدانٌ، وكلُّ مسلمٍ متَّهمٌ ومدانٌ، بل الأخطر من ذٰلكَ أنَّهَا ترى أنَّ كلَّ من يشبه العربي فهو متَّهمٌ ومدانٌ، وقد اعتُقِلَ الكثيرون فقط لأنَّهُم يشبهون العرب، وقتل أكثر من واحدٍ من الهند والبرازيل... وكانت تهمتهم الوحيدة فقط هي أنهم اشتبه بهم لأنَّهُم يشبهون العرب.

جورج بوش الصغير اليوم يصل بالتَّصعيد رُبَّمَا إلى ذروته عندما يعلن أنَّهُ يحارب الفاشية الإسلاميَّة، أَو فاشية إسلاميَّة، وهو يقصد أنَّ الإسلام دينٌ فاشيٌّ وهو يقوم بمحاربة هٰذه الفاشيَّة. قد يعترض أحد بأنَّهُ يقصد حزب الله في لبنان، أَو

حماس في فلسطين... لن نعترض ذلكَ ولٰكن لا بُدَّ أن ننظر إلى الأمر بوضوحٍ شديدٍ من زاويتين على الأقل:

الأولى: أنَّ وصف الإسلام بالفاشيَّة ليس بالأمر الجديد فقد كرَّر ذلكَ مراراً كثيرٌ من المفكرين الأمريكيين خاصَّة والغربيين عامَّة. ومن ثَمَّ فإنَّ **بوش** لا يبتعد عن هٰذا المناخ وإنَّمَا ينطلق من صلبه. وهٰذا يعني أن **جورج بوش الصغير** يعدُّ الإسلام كله فاشيًّا، ومن ثَمَّ فإنَّ كلَّ مسلم فاشيٌّ حَتَّى يسبَّ الإسلام ويحاربه فسيكون ديمقراطيًّا وموضوعيًّا، وقد شهدنا في سنوات سابقة التَّراجع الكبيرَ من المسلمين عن أداء الطُّقوس الدِّينية تهرُّباً من تهمة التَّخلُّف.

الثانية: سنفترض جدلاً أَنَّهُ يقصد حزب الله وحماس. وماذا تفعل حماس وحزب الله حَتَّى يكونوا فاشيين؟ ألأنهم يحاربون من أجل استرداد أرضهم والدفاع عنها؟ والسُّؤال الذي سيبرز بقوَّة هو: لماذا العرب المسلمون هم فقط الإرهابيون والفاشيون إذا دافعوا عن أرضهم وحاربوا المحتل؟ في حين أنَّ الذي يسلمون قياد أمرهم وشرفهم وعرضهم للصهاينة والأمريكان هم الديمقراطيون!!

هل هٰذه هي المعادلة؟

وهل هٰذه المعادلة صحيحة أصلاً؟

عندما يقال لهم: هٰذا يعني أن الفرنسيين الذين حاربوا المحتل الألماني وطردوه إرهابيون إذن.

يقولون: هٰذه حالة مختلفة.

وعندما يقال لهم: إنَّ الأمريكيين الذين حاربوا الاحتلال الإنجليزي وطردوه إرهابيون إذن.

يقولون: هذه حالة مختلفة!!!

إذن ما الحالة المشابهة؟

هل العرب والمسلمون حالة شاذَّةٌ في تاريخ البشريَّة؟

هل البشر كلهم ولدوا ولادة طبيعية والعرب وحدهم ولدوا بالتقيوء أَو بطريقةٍ أخرى قذرةٍ؟

هل البشر كلهم ولدوا من بشر والعرب وحدهم ولدوا من كلاب؟؟؟؟؟

المعادلة واضحة ولا تحتاج إلى كثير من التفكير.

الشرق شرق والغرب غرب ولن يلتقيا.

هٰذه حربهم ونحن أعداؤهم.

فلماذا ننتظر منهم الإنصاف، ولماذا نصر على أنهم أعز الأصدقاء؟؟؟

تَنَبَّهُوا وَاسْتَفِيْقُوا أَيُّهَا العَرَبُ

فَقَدْ طَمَى الخَطْبُ حَتَّى غَاصَتِ الرُّكَبُ.

دمشق في ٢٠٠٦/٨/١١م

الفصل الرابع عشر

بيتر واطسون

وتنامي ظاهرة الإساءة للعرب والإسلام

لا يكاد العرب والمسلمون يخرجون من هاويةٍ حُفِرَت لهم حَتَّى يسقطون في تاليةٍ أعدت لهم أيضاً، ولا يكادون يسدُّون ثغرةً في جدار أمنهم حَتَّى تنفتح عليهم ثغرات، ولا يكادون ينتهون من الردِّ على أباطيل حاقدٍ حَتَّى تنفجر لهاة آخر أكثر حقداً...

هل نحن حقًّا أبرياء كما نظنُّ وهؤلاء الآخرون كلهم على باطلٍ؟ أم أنَّ الحقيقة هي خلاف ذَلكَ وعكسه، أي إننا فعلاً أمَّة فارغةٌ، لا طعم لها ولا لون، ولٰكنَّ لها رائحة بشعة! ولم نقدم شيئاً، ولم نبتكر شيئاً... وليصبح من ثَمَّ استنتاج أننا أمةٌ لا عمل لها سوى القتل والإرهاب... نتيجة منطقية؟!

من البداهة بمكان أنَّ مثل هذه المقدمات لا يمكن أن تقود إلا إِلَى مثل هذه النتيجة. وبمناقشة صغيرة يمكن إدراك مدى اللعبة الَّتي يمارسها الفكر الغربي لحصر العالم العربي والإسلامي بَيْنَ فكّي كماشةٍ دائماً. والمشكلة المعضلة أنَّ هٰذه الممارسة الغربيَّة ليست ظاهرةً حديثةً أبداً، وليست وليدة لحظة انفعالٍ أو غضبٍ، إنَّها نتاج العقليَّة الغربيَّة وهي في كلِّ صنوف تفكيرها وكل لحظات هٰذا التفكير؛ الهادئة والمنفعلة، المسترخية والمتوترة، العادية وغير العادية...

إنَّ مراجعةً صغيرةً لتاريخ الفكر، وتصريحات المفكرين والفلاسفة الغربيين ترينا كيف أنَّ هٰذه الظَّاهرة قَدْ بدأت مع أوائل الفلاسفة اليونان إِلَى آخرهم، فبعدما سرقوا ما سرقوا من نتاجات حضارات الشَّرق القديم، والشَّرق العربي تحديداً، تنكروا لفضل هٰذه الحضارات، ولما سرقوه منها، وأعلنوا مركزية الحضارة اليونانية وبؤريتها الَّتي جعلتها تنسج ذاتها من ذاتها، من دون أيِّ تأثر بالحضارات (الشوائب) الغريبة.

ولم يدر دولاب الزمن كثيراً حَتَّى عادت الحضارة إِلَى العالم العربي، وكان الإسلام هو هوية هٰذه المرحلة، ولم تكن إنجازات العالم العربي في هٰذه المرحلة أقل قيمةً أو أهميَّة مما أنجزته في المرحلة السَّابقة على الإطلاق. وجاء الأوربيون وسرقوا ما سرقوا أيضاً، ونهبوا ما نهبوا، ونسبوا إِلَى أنفسهم من هٰذه الإنجازات ما نسبوا... وبعد ذَلكَ كلِّه أنكروا أن يكون للحضارة العربيَّة الإسلاميَّة أيَّ فضلٍ على الحضارة الغربيَّة، وادعوا أنَّ الحضارة الغربية الجديدة قَدْ نهضت من تلقاء ذاتها، وعادت فَقَطْ إِلَى أسلافها، جذرها اليوناني، ومنه وحسب كان نقلها وتجديدها... متنكرين تنكر العمد لا الجهل لكلِّ فضائل الحضارة العربية الإسلامية، وفضلها المباشر عليهم، وتستروا على السَّرقات الهائلة الَّتي سرقوها ونسبوها إِلَى أنفسهم.

قَدْ نجد نفسيًّا العذر لمن سَرَقَ في أن يداري على سرقته وينكرها وأن يدعي أنَّ الشَّخص المسروق لا يملك شيئاً يسرق... لينفي بذلكَ أيَّ إمكانٍ لاتهامه أَو إدانته، بل رُبَّما اتهام المسروق بالجنون أو الخبل إنْ هو حاول اتهامه!! ولٰكن ما العذر الذي يمكن أن نجده أو نقبل به لشخص لم يسرق، أو لم يشارك في السرقة مشاركة مباشرة؟

هٰذا هو السُّؤال الذي فرض ذاته ومازال كُلَّما طلع علينا واحدٌ ينتقص من إنجازات الحضارة العربية قبل الإسلام وبعده. وبحثنا عن الإجابات المقنعة فلم نجد إلاَّ إجابة واحدةً هي أنَّ الانتقاص الغربي من قيمة حضارتنا، والتَّقليل من قدرها، وتشويهها، اتهامنا بالإرهاب، وبأننا بشرٌ ذوي أذناب... ليس، كما أشرنا، لظرف أو عَرَضٍ، وإنَّما هو جزء صميميٌّ من بنية التفكير الغربي.

ولكن الملاحظ في الفترة الأخيرة، منذ نحو السنتين وحسب، أنَّ المسألة لم تعد مسألة تقليلٍ من شأن ما أنجزته الحضارة العربيَّةُ الإسلاميَّةُ، ولا إنكار لهٰذه الإنجازات، وإنَّما تعدته إلَى الإساءة الواضحة الوقحة إلَى رموز أمتنا ومقدساتها، وقد تابعنا من خلال وسائل الإعلام كيف اشتدت هٰذه الحملة الشَّرسة على العالم العربي والإسلامي بمختلف وسائل الإساءة وأدواتها وأساليبها، ومن مختلف مستويات تمثيل الأشخاص الذين يصبُّون جام حقدهم على أمتنا.

إذا كانت كثيرٌ من نماذج ظاهرة الإساءة للعرب والإسلام تحمل صيغ صيحاتٍ وأحكامٍ تميل إلَى البتر والاختصار والاقتصار على كونها أحكاماً عامَّة فإنَّ المرحلة المعاصرة الَّتي بدأت مع أواخر القرن العشرين قَدْ أخذت منحًى جديداً هو منحى المحو المنهجي لمحددات الهويَّة العربية والإسلامية، وتكريس تكسير مميزات أصالتها ونبلها وكريم أصلها وفصلها، وقدرتها على الفعل والتجديد والابتكار...

كل ذَلكَ، على الأقل، من أجل تحطيم معنوياتنا وإحباطنا، ودفعنا من ثَمَّ للإيمان بأن اللوذ الخانع بأحضان الغرب هو الحل الوحيد الذي لا بديل عنه، وليس عنه من محيد.

من آخر هٰذه النَّماذج الحاقدة على الأمة العربية والعالم الإسلامي صحافي بريطاني اسمه **بيتر واطسون** كتب في مطلع عام ٢٠٠٣م في جريدة التايمز اللندنيَّة مقالاً مطولاً يشبه أن يكون في ظنه طلقة الرحمة، أو هي في حقيقة الأمر طعنة الإجهاز على الجريح وهو في أوج نزفه.

قال: «إنَّ القول بأنَّ الإسلام قام من دون مساعدة بإنشاء حضارة يحسد عليها في العصور الوسطى، والقول بأنَّ هذا (الدين العظيم) بمفرده كان مسؤولاً عن عصرٍ ذهبيٍّ أسطورة ونصف حقيقة».

قَدْ لا يكون من مشكلةٍ كبيرةٍ عندنا أن يكون الإسلام أو العرب هم بناة هٰذه الحضارة، فالمعدن واحدٌ، والأساس واحدٌ. ولٰكن عندما يكون الأمر في هٰذا السِّياق فنحن أمام تساؤلات لا تساؤل واحدٍ. فالمشكلة هنا مشكلتان **أولاهما** عدم الاعتراف أصلاً بأيِّ إنجاز لهٰذه الحضارة، **وثانيهما** النَّظر إِلَى الإسلام نظرةً هازئةً، فقوله «هٰذا الدين العظيم» كما يبدو من السياق ليس تعظيماً فعلاً وإنَّما هو من باب الاستهزاء والتَّقزيم. ويؤكِّد ذَلكَ بحكمه بأنَّ القول بأنَّ الإسلام هو الذي يقف وراء هٰذه الحضارة وهٰذا المجد إنَّما هو «أسطورة ونصف حقيقة».

وإذا سألنا عمَّن بنى هٰذه الحضارة فلن ننتظر كثيراً لأنَّهُ سرعان ما تابع من أجل الإجابة بقوله: «ظلَّت جندسابور لسنوات طويلة موطناً للدارسين من كلِّ ملَّة، ولمن هم من دون ملَّة. وعندما فتح العرب مدينة جندسابور سارع أولئك

الدارسون إِلَى تعلم لغة الفاتحين، وبدأ بذلك برنامجٌ مكثَّفٌ لترجمة الكتب الطبية وكتب الجغرافيا والعلوم من اللغتين الهندية واليونانية إِلَى العربية».

هنا في حقيقة الأمر تبدأ الرسالة الَّتي أراد أن يوصلها الصحافي البريطاني، لأنَّ هٰذا الكلام ليس إلا مقدمةً لنتيجةٍ سيأتي على ذكرها، إذ إنَّ هٰذا القول من جهة المبدأ ليس فيه ما يعيب الحضارة العربيَّة الإسلاميَّة، وليس فيه ما يستحقُّ كثير المناقشة، ولٰكن عندما نراه يسفر عن وجهه الحقيقي، ومقصده من ذٰلكَ نرى كم كان صفيقاً في تقزيم العقل العربي واحتقاره، فهو يتابع قائلاً: «وهكذا فإنَّهُ حَتَّى محض التَّفكير في ترجمة الكتب الأجنبية يعود الفضل فيه إِلَى تقاليد مسيحية ويهودية ووثنية إذ لم يكن هناك تقاليد أو سوابق مماثلة في العالم العربي».

لَقَد تحول العرب لديه إِلَى محض اتكاليين، بل إِلَى (تنابل) لا يفكرون، ولا يريدون التَّفكير، ولا يتعلمون ولا يريدون التَّعلم... فليس لديهم أي تقليدٍ للترجمة أو النقل أَو الاتصال مع الآخر!!

طبعاًن لسنا بحاجة إِلَى كثيرٍ من الجهد لدحض هٰذا الاتهام الصفيق لأنَّ الحقائق أنصع من أن تنكرها عينٌ مغمضةٌ. ولٰكن ما لا يجوز تجاوزه هو محاولة دقِّ الإسفين بَيْنَ الإسلام والأديان الأُخْرى، ناسياً أو متناسياً أو متجاهلاً أن هؤلاء المسيحيون واليهود إنَّما هم من أبناء الحضارة العربية الإسلامية. وفاته كذٰلكَ أننا في حضارتنا العربية الإسلامية نفخر بأعلامنا المسيحيين كما نفخر بأعلامنا المسلمين، كما لا ننكر أبداً أفضال العلماء والأعلام الذين لم يكونوا على أيٍّ من الأديان الثلاثة، ونفخر بهم كما نفخر بغيرهم.

وواقع الأمر أنَّ ما يريده هٰذا الصحافي أكثر من ذٰلكَ بكثيرٍ، فهو لا يريد أن يجرِّد المسلمين من أيِّ فضل على الحضارة من أجل أن ينسب ذٰلكَ إِلَى المسيحيين

واليهود يريد إقناعنا بأننا لا يمكن أن نتطور أو نتقدم أو ننجز شيئاً إلا إذا أسلمنا قياد أمرنا إِلَى المسيحيين واليهود، وبمعنى آخر إلا إذا أطلقنا يد النفوذ اليهودي في عالمنا، فهو لا يعلم، أو يعلم ويتجاهل، أنَّ المسيحيين العرب لا يفترقون عن المسلمين العرب في شيءٍ من حقوق المواطنة والمبادرة. وقد بدت هٰذه النِّية، أو هٰذا المطلب في قوله: «حدث ذَلكَ (أي الترجمة) عندما كان الهنود والصينيون والمسيحيون واليهود على الرحب والسعى، ويتمتعون بنفوذ في العالم العربي».

عندما قالوا: «أبى الحقُّ إلا أن يظهر على لسان منكره» لم يخطئوا. فهٰذا الصحافي أراد أن يدين العرب والإسلام، كما حاول كثيرون غيره، باتهامنا بالعنصرية، ومحاربة الأديان الأُخْرى، وعدم الاعتراف بها... ولكنَّهُ أقرَّ بلسانه بأنَّ الأديان الأُخْرى كانت تعيش في ظلال العالم الإسلامي كما لم يؤت لها ذَلكَ في أيِّ حضارة أُخْرَى.

وإذا كانوا يحاولون تشويه علاقة المسيحيين العرب بالمسلمين العرب في العالم العربي الآن من أجل إيجاد شرخ بَيْنَ أبناء الدَّم الواحد فإنَّهُم يعرفون حقَّ المعرفة أنَّ التَّآلف والتَّآخي الذي يعيشه المسيحيون والمسلمون العرب في العالم العربي ظاهرة لا تتحقق أقلُّ أقلها فيما يسمى عالم الديمقراطية والحرية، أي العالم الغربي حسبما يدعون... وهٰذا واحدٌ من أسباب الحقد الغربي على العالم العربي.

ولأنه يدرك أنَّ المسيحي العربي والمسلم العربي كلاهما يؤمن بأنَّهُ عربيٌّ قبل المسيحية وقبل الإسلام، وأنَّ رابطة الدم بَيْنَ المسيحيين والمسلمين العرب رابطةٌ غير قابلةٍ للتفاوض أَو التنازل أو حَتَّى المناقشة، ولمعرفته بأنَّ المسيحيين العرب لا يقلون فخراً بالحضارة العربية الإسلامية عن المسلمين أنفسهم، لأنَّ الحضارة العربيَّة الإسلامية في المحصلة هي حضارة العرب بأديانهم وطوائفهم الدينية، فقد تمادى في

تجريد الحضارة العربية من أيِّ إنجاز، فإذا كان قَدْ اعترف بالترجمات الَّتي نسبها إِلَى المسيحيين واليهود، ولم يخطئ في ذَلكَ كثيراً، فقد ذهب إِلَى أنَّ هٰذه الترجمة هي وحدها ما تمَّ إنجازه في ظل الحضارة العربيَّة، وأنَّ العرب؛ مسيحيين ومسلمين، لم يضيفوا شيئاً إِلَى أيِّ ميدانٍ من ميادين المعرفة والعلم!!!

دعوى عريضةٌ، بل لَقَد عَرُضَتْ حَتَّى انشقت، ولن نناقشها لأنَّها نوقشت كثيراً، ورُبَّما كان بعض أعلام الحضارة الغربية المنصفون أكثر إنصافاً لحضارتنا منَّا نحن. ويمكن الرجوع إِلَى هٰذه الكتابات والمناقشات لمن أراد.

نحن لن نردَّ على هٰذا الصحافي وأمثاله على صفحات مجلاتنا وكتبنا العربية لأنَّ الردَّ إنَّما يجب أن يكون موجهاً إِلَى العالم الغربي لا العالم العربي، فثقتنا في حضارتنا لا تحتاج إِلَى تأكيدٍ، وإنَّما إنصاف حضارتنا من تشويهات الحاقدين هو الذي نحاول الكشف عنه للتَّعريف والتذكير.

المطلوب هو قيام جهودٍ واعيةٍ مكثَّفةٍ على فضح هٰذه الأحقاد في وسط العالم الغربي، وهٰذه مهمة رُبَّما يعجز أشخاص عن القيام بها، لأنَّها تحتاج إِلَى جهود جبارةٍ ماديَّةٍ معنويَّةٍ، يجب حسن التَّخطيط لها حَتَّى لا يسقط ما بقي لنا من كرامة في أعين العالم.

مرَّة أُخْرَى أقول إنَّها دعوةٌ لكلِّ من استطاع أن يقدِّم جهداً ولو صغيراً للدِّفاع عن كرامتنا الجريحة، وهويتنا الذَّبيحة... فهل من مجيب؟؟

دمشق في ١٣/٥/٢٠٠٥م

الفصل الخامس عشر

للذكرى والتاريخ

العرب مرتاحون

لتدنيس القرآن وإلقائه في المراحاض

في الأوَّل من نيسان الماضي (٢٠٠٥م) كتبت عن قيام الجنود الأمريكيين بتدنيس القرآن الكريم وإلقائه في المراحيض، ولم أخترع ذَلكَ اختراعاً فهذه شهادات المساجين الذين كانوا معتقلين في چوانتانامو.

هٰذا الخبر شاهده في حينه ملايين العرب على شاشة الجزيرة خاصَّة وعرفوه عن محطات ومواقع أخرى. أمَّا الأفغانيون فلم يصلهم هٰذا الخبر إلا منذ أيام، في العاشر من أيار، رُبَّما لعدم وجود وسائل الإعلام الكافية ورُبَّما لغير ذَلكَ... ولٰكنَّهُم

لم ينتظروا ساعةً واحدةً فانتفضوا انتفاضة واحدةً عارمةً منددين بهذا السُّلوك الحقير المسيء مطالبين بطرد الأمريكان من أفغانستان ومنادين بموت أمريكا...

ومع ذَلكَ مرَّ الخبر مرور سحابة صيفٍ، ومن الخطأ القول مرور الكرام، ورُبَّما أشاد بعض العرب الأكارم الأشاوس بالحمية الأفغانية.

استمرت الانتفاضة الأفغانية العارمة لليوم التالي وازداد أوارها والعرب (يتفرجون) وكأنَّهم غير معنيين بالأمر، وكأنَّ الله تعالى قال: إنا أنزلناه قرآنا أفغانيًّا... وكأنَّ رسول الله باكستانيٌّ أَو ماليزيٌّ... وكأنَّ العرب يعبدون **بوذا** ولا يعبدون الله!!!

واستمرت الانتفاضة الأفغانيَّة لليوم الثالث بأوارٍ أشد وإيمانٍ أكبر... واستمر العرب يتفرجون وكأنَّهُم يشاهدون فيلم إثارةٍ وتشويقٍ لا علاقة لهم بالفيلم إلا أنَّهُم (متفرجون). ورُبَّما ضجر بعضهم من استمرار دوامة العنف الأصوليَّة التي تجتاح أفغانستان.

ألا يعني هٰذا أنَّ العرب فرحون بتدنيس القرآن الكريم؟!

ألا يعني هٰذا أنَّهُم راضون بما يُفَعَلُ بالقرآن الكريم؟!

ألا يعني هٰذا أنَّهُم مسرورون من تمزيقه وإلقائه في المرحاض؟!

ألا يعني هٰذا تبرأهم من القرآن الكريم؟

الأفغان فور معرفتهم الموضوع من خلال الخبر الذي نشرته مجلة نيوزويك الأمريكيَّة انتفضوا وزلزلوا الأرض بانتفاضتهم حَتَّى ألزموا المسؤولين الأمريكيين بالتَّصريحات التي تحاول التَّبرؤ من هٰذا التَّصرف القميء الحقير واستعدادهم لمحاسبة المسؤولين عنه، وإن كانوا في الواقع لن يفعلوا شيئاً كما جرت العادة في مثل ذَلكَ.

أمَّا العرب فقد مرَّ شهر ونصفه على الخبر ولم يفعلوا شيئاً. ورأوا إلى انتفاضة الأفغان وحميتهم وحرصهم على الدين والقرآن الكريم واكتفوا بهزِّ الرَّأس تقديراً لحمِيَّة الأفغان وإحساسهم بالمسؤوليَّة وربَّما اشمئزازاً من تطرفهم وأصوليتهم!!!

هل يكفي القول مع **يوسف الخطيب**:

أَكَادُ أوْمِنُ مِنْ شَكِّيْ وَمِنْ عَجَبِي
أَنَّ هٰذيْ المَلايينَ لَيْسَتْ أُمَّةَ العَرَبِ

كان هٰذا القول إهانة كبرى للعرب في مرحلة من المراحل واليوم بات بلا معنى ولا قيمة، وأقلٍ بكثيرٍ جدًّا جدًّا من أن يعبِّر عمَّا وصل إليه الخنوع العربي والذُّلُّ العربيُّ والمهانة العربية.

إنَّ ما لا بُدَّ من أن نختم به هنا أنَّ وزيرة الخارجيَّة الأمريكيَّة **كونداليسا رايس** اضطرت في يوم الخميس ١٢ أيار ٢٠٠٥م وهو اليوم الثالث من الانتفاضة الأفغانية إلى عقد مؤتمر صحافي قالت فيه: «إنَّ عدم احترام القرآن شيءٌ بغيضٌ لنا» وهٰذا ما لا ينسجم مع موقفها وفلسفتها التي أظهرتها أكثر من مرَّةٍ بوصفها محتقرة للقرآن الكريم. وتابعت قائلة: «سنحقِّق في ذٰلكَ... وإذا كانت هٰذه الادعاءات صحيحة فسنحاسب المسؤولين عنها». وهٰذا كلام بلا معنى أيضاً لأننا شاهدنا تحقيقات سابقة مماثلة كانت تافهة النتائج، منها مثلاً الجندي الأمريكي الذي عرضته محطَّات التلفزة العالميَّة كلها تقريباً وهو يطلق النَّار في قلب المسجد على جريحٍ عاجزٍ عن الحراك ليرديه قتيلاً. وبعد التَّحقيق حكمت المحكمة ببراءة الجندي وعدم كونه مذنباً. فكيف بما لم تصوره وسائل الإعلام؟؟!!

ما توقعناه في الفقرة السَّابقة الأخيرة هو الذي حدث تماماً إذ بعد يومين من كتابة هٰذا المقال ونشره على مواقع الإنترنت أعلنت نتائج التَّحقيقات التي جاء فيها أنَّ شيئاً من هٰذا القبيل لم يحدث أبداً، وأنَّ كلَّ ما نشر ما هو إلا افتراء وكذب واختلاق!!!

وإمعاناً في تحقير العرب ومقدَّسات العرب قام الجنود الأمريكيون في العراق بالعمل ذاته في مساجد بغداد بعد تبرئة جنود چوانتانامو بيومين فقط إذ عاث الجنود الأمريكيون فساداً في مساجد بغداد ودنسوا القرآن الكريم في قلوب مساجد مدينة الرمادي العراقيَّة بزعم البحث عن مطلوبين وإرهابيين، والإرهابيون بالمناسبة وللتاريخ هم الشرفاء الذين يدافعون عن أرضهم ضدَّ الاحتلال الأمريكي. ولم يكتف هؤلاء الجنود بتدنيس المساجد والاعتداء على حرمتها، وقد فعلوا ذٰلكَ مئات المرات بمئات الأساليب والطرق والوسائل، بل اعتدوا على القرآن الكريم ورسموا الصُّلبان على جدران المساجد وعلى نسخ القرآن الكريم... وقد صورت كثير من وسائل الإعلام هٰذه الممارسة التي يصعب وصفها باسم أَو لفظ يحتويها. وعلى الرَّغْمِ من أنَّها صوِّرت وعرضت على مختلف وسائل الإعلام العربية والإعلاميَّة ما بَيْنَ الثالث عشر والخامس عشر من أيار ٢٠٠٥م، فقد خرج علينا المسؤولون الأمريكيون يوم الثلاثاء ٢٠٠٥/٥/١٨م وأنكروا أن يكون الجنود الأمريكيون قد فعلوا ذٰلكَ!!!

وعلى الرَّغْمِ من ذٰلكَ لم يحرِّك العرب ساكناً، وأكثر ما طالب به بعضهم القليل جدًّا ورُبَّما فقط خوفاً من الحرج أمام العالم هو أن تعتذر الإدارة الأمريكيَّة عن ذٰلكَ!!!

المساجين الذين عايشوا الحدث معايشة مباشرة في چوانتانامو أَلْزَمُوا الإدارة الأمريكية بالاعتذار لهم. أمَّا الحكومات العربية الجليلة العظيمة والشَّعب العربي الهدَّار الممتد من المحيط إلى الخليج وترفده شعوب الأمة الإسلامية الممتدة من المحيط إلى المحيط فلم تفعل شيئاً... بل وسكنت انفعالاتها وتفاعلاتها مع الحدث عندما أعلنت الإدارة الأمريكيَّة أنَّ ما شاهده النَّاس على محطات التلفزة كان كذباً، وأن الجنود الأمريكان أبرياء من هٰذه التهم الباطلة... فالجيش الأمريكي خاصَّة يحترم القرآن الكريم خاصَّة كثيراً جدًّا.

أليس في ذٰلكَ ما يضحك من البكاء؟؟!!

أليس في ذٰلكَ ما يبكي من الضحك؟؟؟!!

أليس في ذٰلكَ ما يربك الحليم الحكيم ويدخله في دوامة العجز عن الوصف والصبر والاحتمال؟؟؟!!

١٢ أيار ٢٠٠٥م

الفصل السادس عشر
مصر تكمل جدار الفصل العنصري

جدار الفصل العنصري الذي ضجَّ العالم بسببه، حَتَّى أعداء العرب وأعداء العروبة، وأنصار الكيان الصهيوني، بل حَتَّى بعضٌ من الصهاينة أنفسهم لم يستطيعوا هضم فكرة جدار الفصل العنصري الذي عزم الكيان الصهيوني على إشادته حول الفلسطينيين، لذلك كثرت المظاهرات والاحتجاجات، بل حَتَّى الجمعية العامة للأمم المتحدة لم تستطع الصمود أمام ضرورة الاحتجاج على هذا الجدار ومطالبة الكيان الصهيوني بالتوقف عن إشادته.

لم يأبه الكيان الصهيوني لذلك. وأن لا يأبه الكيان الصهيوني لذلك أمرٌ ليس جديداً. هذا دأبه منذ اغتصب فلسطين، ودأب العالم الغربي في ذَلكَ الموافقة والتصديق... والتصفيق.

في يوم الخميس الواقع في السادس من آذار ٢٠٠٨م الموافق لـ الثامن والعشرين من صفر ١٤٢٩هـ، جاء في خبر لم يسمَّ خبراً عاجلاً، رُبَّما لأَنَّهُ كان متوقعاً أو مدروساً، ولم يعرض بما يكفي في نشرات الأخبار، رُبَّما لأنَّه لم يُصدَّق، وإنَّمَا مرَّ على الشَّريط الإخباري للجزيرة وبعض الأقنية الفضائية الأخرى هٰذا الخبر الذي يقول: «تنوي مصر إقامة جدار عازل على طول حدود قطاع غزة بارتفاع ثلاثة أمتار»، وفي التَّعليق الإخباري جاء أنَّ السبب هو أن تتحاشى الحكومة المصرية ما حدث على معبر رفح منذ فترة، عندما اقتحم الفلسطينيون المعبر ودخلوا إلى مصر.

المصيبة الأولى، وهي كبرى، وكبرى جدًّا، أن لا أحد في العالم لا يعرف لماذا اقتحم الفلسطينيون معبر رفح الذي يفصل قطاع غزة عن مصر. فغزَّة التي فيها نحو مليوني عربي فلسطيني محاصرة من جميع الجهات، وممنوع عنها الغذاء والماء والكهرباء والهواء، ومفروض عليها الجوع والشقاء، وبعد مناشدات لضمائر الشعوب والحكومات والحكام في العالم كله لم يفك الحصار، وزاد البؤس والشقاء، بل حَتَّى المساعدات التي قدمتها الشعوب منع الصهاينة إدخالها إلى غزة، وكذلك فعلت مصر الشقيقة.

لم يجد الفلسطينيون حلاً أبداً سوى اقتحام الحدود. هل يقتحمون الحدود باتجاه جيش الاحتلال أم يتَّجهون باتِّجاه من هم أشقاء؟!

اقتحم الفلسطينيون الحدود باتجاه مصر، لا ليسرقوا، ولا لينهبوا، ولا ليقتلوا، ولا ليخربوا... ولا لأي فعلٍ سيءٍ، اقتحموها فقط ليشتروا طعاماً وأدوية لأطفالهم، ليشتروا لا ليتسولوا، ولا ليسرقوا. وقد وقف الشعب المصري معهم بنبل من غير

شكَّ، وأسقط في يد النظام المصري فلم يغلق المعبر على الفور، ولَكنَّهُ أعطى إنذاراً غير مباشرٍ بالمغادرة، وأغلق المعبر بعد أيام.

المصيبة هنا أنَّ النِّظام المصري يطبق الحصار على الشعب الفلسطيني ويمنع عنهم الغذاء والدواء وهم أشقاء، مساعداً في ذَلكَ الحصار الصهيوني الذي يريد أن يميت الشَّعب الفلسطيني جوعاً أو ينقلب على نفسه ويرفض المقاومة ويتخلَّص من العزة، ويهرب من حقه...

هٰذا السلوك من النظام المصري عجيبٌ غريبٌ مهما كانت المسوغات والذَّرائع، فالفلسطينيون لم يريدوا أكثر من أن يشتروا بأموالهم طعاماً ودواءً، وهم بأمس الحاجة إلى ذَلكَ بسبب الحصار الخانق الذي يفرضه الكيان الصهيوني، وبسبب الحال المأساوية التي وصل إليها حال الفلسطينيين في غزة، هٰذه الحال التي فرضت على كلِّ ذي ضمير في العالم أن يحتج على الكيان الصهيوني على هٰذا السلوك الوحشي الحاقد، ولكن ماذا نقول والسلوك نفسه ينطوي على رفض النظام المصري أن يفيد شعبه ذاته، يرفض دخلاً حلالاً صرفاً للشعب المصري؟

هٰذا يذكرنا بمأساة عودة الحجاج عن طريق مصر عندما رفض النظام المصري إعادتهم إلا عن طريق قوات الاحتلال لتعتقل منهم من تريد أن تعتقل، وظلَّ الحجَّاج، حجَّاج بيت الله الحرام، عالقين على الحدود حَتَّى يقبلوا أن يعودوا إلى أرضهم عن طريق قوَّات الاحتلال حَتَّى حلت الأزمة بالحرج من تحرك الشَّارع العربي.

ولكنَّ خطوة اليوم خطوة أكثر جرأةً من كلِّ ما سبق، وأكثر خطورةً، وأكثر مصيبةً. فأن ينهض النظام المصري لإكمال جدار الفصل العنصري حول الفلسطينيين من الجانب لمصري الذي يفترض فيه أن يكون المنفذ والمتنفس الوحيد

للفلسطينيين، فهٰذا ما لا يمكن أن يصدق. جدار الفصل العنصري الذي احتجَّ عليه العالم حَتَّى بعض الصهاينة أنفسهم، يأتي النظام المصري ليكمل أسواره ولتتحول غزة فعلاً إلى أكبر سجن في العالم.

ولكن للحقِّ والتاريخ فإنَّ النظام المصري قد قَلَّل من ارتفاع هٰذا الجدار من الجانب المصري، ففي حين أنَّ الصهاينة جعلوا ارتفاع الجدار خمسة أمتار فإنَّ مصر ستجعله بارتفاع ثلاثة أمتار فقط، يعني أَنَّهُ سيترك للفلسطينيين فرصة للإطلال على الشَّمس أو رؤيتها. ولٰكنَّ ما لا ندريه هو أنَّ النظام المصري قرر أن يقلل ارتفاع الجدار رأفة بالفلسطينيين أم من باب التوفير من في التكلفة؟! يعني بخلاً!!

لا شكَّ في أنَّ ثُمَّةَ ضغوط صهيونية وأمريكية ورُبَّما أوروبيَّة على مصر من أجل إحكام الحصار على الفلسطينيين. ولكننا لا ندري إن كان هٰذا الجدار بأمر من الصهيونية أم بأمر من الولايات المتحدة الأمريكية. أشدُّ ما أخشاه أن يكون اخترعاً مصريًّا. ومهما يكن من أمر فإنَّ الصهاينة والولايات المتحدة لا يمكن أن يمولوا هٰذا الجدار لأنهم حَتَّى الآن لم يحاربوا إلا بأموالنا، حَتَّى حروبهم ضدَّنا هي بأموالنا. ولٰذلك من الصَّعب الشكُّ في سرقة أموال الجدار وتقليل ارتفاعه.

دمشق في ٢٠٠٨/٣/٨م

الفصل السابع عشر

عملية القدس ومحنة العقل

في يوم الخميس الواقع في السَّادس من آذار ٢٠٠٨م الموافق لـ الثامن والعشرين من صفر ١٤٢٩هـ نفَّذ الفدائيُّ الاستشهادي الفلسطيني **علاء أبو دهيم** عملية نوعيَّة في مدرسة دينيَّة يهوديَّة في القدس، أدت إلى مقتل سبعة وجرح أكثر من ثلاثين.

هٰذه المدرسة خرَّجت وتخرِّج أكثر اليهود تطرفاً في الكيان الصهيوني، ويتزعمها رأس المتطرفين اليهود في فلسطين المحتلة **عفواديا يوسف**. وتقع المدرسة في القدس المحتلة. والذي قام بالعملية واحدٌ من أبناء هٰذه الأرض المحتلة.

هٰذه المعلومات التَّمهيديَّة تصوير لواقع الأمر وحقيقته سيَّان وافق العالم كله على ذٰلكَ أم اعترض، لأنَّ هٰذه هي الحقيقة في المنطق والتاريخ والجغرافيا، فإن

وقف العالم كلُّه ضدَّ هٰذه الحقيقة فإنَّ العالم هٰذا كلَّه لن يغيرها ولن يبدل فيها، وستظلُّ فلسطين أرضاً محتلة حَتَّى يخرج الاحتلال، وسيظل عمل **علاء أبو دهيم** عملاً مقاوماً ضدَّ الاحتلال، وسيظل ما قام به **أبو دهيم** واجباً وطنيًّا ضدَّ قوات الاحتلال حَتَّى ولو كان الاحتلال ملاكاً وأرحم من ملاك وأطهر.

ليس الاحتلال على أيِّ حال ملاكاً ولا طاهراً، وقد جاءت هٰذه العمليَّة إثر سلسلة من المجازر المتتالية على مدار أكثر من أسبوعين قتل فيها أكثر من مئة وعشرين فلسطينيًّا نحو ربعهم من الأطفال، ونحو ربع الأطفال لم تتجاوز أعمار أيٍّ منهم الأشهر القليلة، بل فيها من كان عمره أياماً فقط.

مع وجوب مقاومة الاحتلال حَتَّى ولو كان ملاكاً ولا يقوم بشيء واجب، ومع ذٰلكَ يمكن القول إنَّ المنطق المتحيز للاحتلال يجب أن يقول إنَّ هٰذه العملية هي ردُّ فعل تجاه مجازر الاحتلال بل ردَّ فعلٍ أقلَّ بكثير جدًّا من فعل الاحتلال. ولٰكنَّ التَّعليقات التي كانت تجاوزت كلَّ أطر المنطق والأخلاق والعادات والأعراف ووصلت إلى درجةٍ من الصَّفاقة والوقاحة والسَّفاهة لا تصدق ولا تنزل في ميزان ولا قبَّان، وهي ليست المرَّة الأولى على أيِّ حال.

بعد دقائق تتجاوز السَّاعة بقليلٍ استنفر مجلس الأمن الدولي ودعا إلى جلسة طارئة لإدانة العمليَّة المقاومة. إنَّ تداعي مجلس الأمن لهٰذا الانعقاد الطارئ أَو حَتَّى غير الطارئ لمثل هٰذا الأمر لا يعني إلاَّ أَنَّهُ يحمي الاحتلال ويرفض حقَّ الشعوب في مقاومة الاحتلال، وهٰذا يعني أَنَّهُ ليس ممثلاً للشرعية بالإطلاق لا الدولية ولا غير الدوليَّة لأَنَّهُ يخالف كلَّ الشرعيات يحمي أعداء الشرعيَّة والمعتدين عليها يؤازرهم.

لو وقف الأمر عند هٰذه المصيبة، ولا يمكن ابتلاعها وهي كذلك فقط، لكانت المصيبةُ مصيبةً واحدةً، ذٰلكَ أنَّ مجلس الأمن الدولي هٰذا شهد المجازر التي

لم يتوقف عنها الاحتلال الصهيوني ضدَّ أصحاب الأرض، شهد ويشهد حرب الإبادة الجماعيَّة ضدَّ الفلسطينيين على الأقل منذ حصار غزة الذي لا نظير له في التَّاريخ البشري وصولاً إلى المجازر المتلاحقة منذ أكثر من أسبوعين التي بدت مجازر حاقدة لا تقل عن حرب إبادة... ومع ذَلكَ لم يتحرك مجلس الأمن الميمون، ولم يبد عليه أَنَّهُ يرى، ولم يجتمع أَو يفكر في الاجتماع إلا بعد مناشدات لا حصر لها، ورجاءات مشفوعة بالبكاء من الحليمين والحكماء. وعلى الرَّغْمِ من وضوح المجازر وضوحاً يفقأ أعين الجاحدين أَو المنكرين فإنَّ المجلس الميمون لم يدن المجازر الصهيونية وإنما خرج بنصٍّ ساقطٍ رقيعٍ يقول: «إنَّ مجلس الأمن يدين الصواريخ التي يطلقها الفلسطينيون، ويطلب من (إسرائيل) عدم الإفراط في استخدام العنف».

الصواريخ التي يطلقها الفلسطينيون وتسمى صوراريخ القسام هي صنع يدوي إذا وقعت قرب الإنسان قد لا تقتله، وهي صناعة اليائسين البائسين الذين لا حيلة لهم ولا قوة، وهي تقاوم الاحتلال، ومع ذَلكَ فإنَّ مجلس الأمن الميمون يدين هٰذه الصواريخ التي هي دفاع عن النَّفس واجبٌ لا محض مشروع. أما المجازر الصهيونية ضد الفلسطينيين فإنَّ مجلس الأمن الميمون يطلب عدم الإفراط فيها، إنَّهُ يقرها، ويوافق عليها، ويسمح بها، ولٰكنَّهُ يطلب عدم الإفراط في المجازر. هٰذا يعني أَنَّهُ يجوز للصهاينة المحتلين أن يقتلوا الفلسطينيين ولكن بدل قتل المئة يمكن قتل خمسين أَو أكثر قليلاً!!!

إذا كان هٰذا حال مجلس الأمن الدولي الأمين على الشرعية الدولية فلا عجب في أن يستنفر الرئيس **جورج بوش الصغير** ويعلن استياءه واستنكاره للعملية التي قام بها الشهيد الفلسطيني **علاء أبو دهيم** في المدرسة الدينية اليهودية في القدس، في حين أَنَّهُ لم ير في مجازر الاحتلال الصهيوني ما يستحق التعليق سوى

أَنَّهَا واجب الصهاينة في الدفاع النفس. إنها فلسفة من يرى الضحية جلاداً ويرى الجلاد ضحية!! وبالفلسفة ذاتها نظرت بعض الدول الأوروبية إلى العملية، وإلى مجازر الاحتلال.

ولٰكن إذا كان في كلِّ ما مضى ما يمكن أن ينظر إليه بعين من الفهم أو القبول ولو على شديد المضض، كون الكيان الصهيوني صناعة أوروبية وأمريكية، وشريك لهم في الاستراتيجيا، فإنَّ ما لا يمكن أن يفهم أو يفسَّر أَو يقبل في حال من الأحوال هو أن يقوم السيد الماجد **أبو مازن محمود عباس** رئيس فلسطين (السلطة الفلسطينية) بإدانة لٰهذه العملية الاستشهادية التي قام به أحد أبناء شعبه ضد المحتل الذي يحتل بلده.

والمصيبة الأكبر من ذٰلكَ أنَّ إدانته لٰهذه العمليَّة سبقت إدانة الرئيس الأمريكي **جورج بوش الصغير** لها، بل سبق إدانة الكيان الصهيوني الغاصب ذاته لها.

والمصيبة الأكبر من لٰهذه المصيبة الأكبر أنَّ السيد **أبو مازن محمود عباس** رئيس السلطة الفلسطينية ذاته لم يتفوه بكلمة شجبٍ واحدةٍ للعدوان الصهيوني الوحشي على الفلسطينيين في غزة والضفة. بل كان يغازل الصهاينة بالود في أثناء العدوان والمجازر.

والمصيبة الأكبر من لٰهذه المصيبة الأكبر من تلك المصيبة الأكبر أنَّ أجهزة السيد **أبي مازن محمود عباس** الإعلامية، وعلى لسان وزير إعلامه تحديداً **رياض المالكي**، وكذلك **دحلان**، وغيرهما، حمَّلوا الشعب الفلسطيني وزر المجازر الصهيونية. والسَّبب، لو تدرون ما السَّبب، هو أنَّ الشعب الفلسطيني يقاوم الاحتلال، وقد اتخذ الاحتلال الصهيوني من مقاومة الفلسطينيين الاحتلال ذريعة

لشن العدوان وارتكاب المجازر. ولهذا يعني أنَّ **فياض ودحلان** يطالبان الشعب الفلسطيني، الذي يفترض أنهما قادته، بعدم مقاومة الاحتلال.

هل رأيتهم في الدنيا زعيم شعبٍ محتلٍّ يدين شعبه لأَنَّهُ يقاوم الاحتلال؟

قديما قالوا: «إذا لم تستح فاصنع ما شئت». وقال **مسكين الدارمي** من بَيْنَ أبيات جميلة تستحقُّ القراءة كلها:

وإِذَا الفَاحِشُ لاقَىْ فَاحِشاً
فَهُنَاكُمْ وَافَقَ الشَّنُّ الطَّبَقْ

إِنَّمَا الفُحْشُ وَمَنْ يَعْتَادُهُ
كَغُرَابِ السُّوْءِ مَا شَاءَ نَعَقْ

أَوْ كُغُلامِ السُّوْءِ إِنْ جَوَّعْتَهُ
سَرَقَ الْجَارَ وَإِنْ يَشْبَعْ فَسَقْ

دمشق في ٢٠٠٨/٣/٨م

الفصل الثامن عشر
بين الأردن وبلغاريا

قصة الممرضات البلغاريات باتت معروفة للقاصي والداني، ولا بأس من التذكير بالقليل لما في الذكرى من فائدة.

نحو مئتي طفل ليبي حقنوا بإبر الممرضات البغاريات الملوثة بفيروس الأيدز/ السِّيْدَا، وقد تبيَّن أنَّ تلويث الإبر بهذا الفيروس لم يكن عن خطأ ولا عن سوء تقديرٍ، ولا محض مصادفة، وإنما هي عملية مدبرة، مخطَّط لها، مقصودة.

بعد ثبوت التهمة بالأدلة والبراهين كما أطلعتنا وسائل الإعلام حُكِمَ بالإعدام على هواتي الممرضات والطبيب الفلسطيني الشَّريك بالعمليَّة. والحكم بالإعدام على قاتلٍ عدلٌ شرعاً وقانوناً.

هناك جريمةٌ واضحةٌ، مخطَّطٌ لها، ومع ذلكَ فقد ثارت ثائرة العالم من الشَّرق إلى الغرب، واحتج العالم الغربي كلُّه على ليبيا لأنها حكمت بالإعدام على من قتل مئات الأطفال، على من حكم بالموت على مئات الأطفال، ووضع هؤلاء الأطفال على النعش وهم أحياء.

العالم الغربي كلُّه احتجَّ، والعالم كلُّه راح يتوسط لدى العقيد **القذافي**، والعالم كله راح يضغط على ليبيا لتخفيف الحكم عن الممرضات البلغاريات، ولم يناضل أحد أقل نضال من أجل الطبيب الفلسطيني الشَّريك في العملية.

العالم الغربي كلُّه يضغط على ليبيا لمنع إعدام المجرمات على الرغم من ثبوت إجرامهم بالأدلة، فالعالم الغربي كله يراهم أبرياء، أبرياء لأنهم أوروبيون قتلوا عرباً، أي إنَّ من يقتل العربي بريء مهما كان سبب ارتكابه الجرم، في حين أنَّهُ عندما يجرح عربي شعور غربي ولو خطأ فإنَّ إعدامه حلالٌ، بل واجبٌ، حَتَّى ولو كان فعله عن غير قصد، ولسنا بحاجة للأمثلة فإننا نعيشها، ألم يقتل البريطانيون برازليًّا لأنه يشبه العرب، قتلوه من دون ذنب، ذنبه أن شكله يشبه العرب، ومن يشبه العرب فهو موضع شبه، وأيُّ حركة تجعل قتله حلالاً بل واجباً وطنيًّا، ولا يحقُّ لأحدٍ أن يعترض، وليس على القاتل أن يعتذر، ومثل ذلكَ كان شأن الهندي الذي قتله الأمريكان عقب أحداث أيلول، قتلوه لأنَّ له لحيةً تشبه لحية العرب، ومن له لحيةٌ فإنه يشبه العرب ومن يشبه العرب فإنَّ قتله حلالٌ، بل واجبٌ إنساني...

قتل العرب واجبٌ إنسانيٌّ، لأنَّ قتل أيِّ عربيٍّ يخدم الإنسانيَّة، ولذلك كان الدِّفاع الماجد من العالم الغربي عن الممرضات البلغاريات، واستمرَّ الضَّغط

والاحتجاج حَتَّى ألغي حكم الإعدام، وعندما ألغي حكم الإعدام واكْتُفِيَ بالسجن لم يقنع العالم الغربي بذَلكَ فقد استمرَّ الاحتجاج والضَّغط من أجل الإفراج عنهم، ليقولوا إنَّ دماء مئات الأطفال الذين دفنوا وهم أحياء على أيدي هاته الممرضات لا قيمة له ولا معنى.

استمرَّ الضَّغط، وتمَّ الاتفاق على نقلهم إلى بلدهم ليكملوا هناك مدَّة السِّجن التي حُكموا بها، وبالفعل نقلت السجينات على طائرة خاصَّة إلى بلغاريا على أن يدخلن السِّجن ليكملن مدَّة الحكم.

ولٰكنَّ الذي حدث ليس مخالفاً للتَّواقعات وحسب بل جاوز كلَّ ما يمكن توقعه، فقد استقبلت المجرمات استقبال الفاتحات، البلغار كلهم كانوا بالانتظار ومعهم أكاليل النَّصر والفخر بإنجاز هواتي الممرضات. وأصدر الرَّئيس البلغاري على الفور مرسوماً بالعفو عنهن، ولم يدخلن السِّجن لحظةً واحدةً. والغريب أنَّ الرئيس **القذوفي** أمر بأن يُحْتَجَّ على قرار العفو، وكأنَّهُ كان يتوقع أن يدخلن السجن فعلاً!!

هٰذا يعني تماماً ما أكدناه غير مرة: إنَّهم يعدُّون قتل العربي واجباً وطنيًّا، بل واجباً إنسانيًّا؛ من يقتل عربيًّا يقدم خدمة للإنسانيَّة يجب أن يكافئ عليها.

عادت المجرمات البلغاريات إلى بلدهم على وعد أن يدخلن السجن لقضاء فترة الحكم ولكن البلغار احتفلوا بهن، وأفرجوا عنهن.

في المقابل من ذَلكَ تماماً نجد الأسرى الأردنيين في الكيان الصهيوني، لم يؤسر هؤلاء الأردنيون لأنهم يهربون الحشيش، ولا لأنهم يتآمرون على نظام عربيٍّ، ولا لأنهم فارون من العدالة، لقد أسرهم الكيان الصهيوني لأنهم مناضلون ضد الاحتلال الصهيوني، وبقوا في الأسر سنوات من دون أن يطالب بهم أحد، ومن

دون أن يهتز لهم ضمير أيِّ حاكمٍ عربيٍّ بمن فيهم حاكم الأردن ذاته، بل دعوني أقل إنَّ المواطن العربي لم يكن يعلم بهم، ولذلك بقوا في السِّجن سنواتٍ وسنوات، ولولا الفضائح الإعلاميَّة في السَّنوات الأخيرة لما علمنا بهم! ومع ذلكَ لم تضغط الحكومة الأردنية، ولم تطالب بهم...

لسببٍ أو لآخر أفرج عنهم الكيان الصهيوني، انتهت مدَّة الحكم عليهم تقريباً، واقترب الإفراج النِّظامي عنهم، وأراد الكيان الصهيوني أن يهدي المملكة الأردنيَّة هديَّةً في هذا الزمن الصَّعب فأفرج عن بعض الأسرى الذين اقترب الإفراج عنهم، فدخلوا الأردن.

كيف دخلوا الأردن وهم المناضلون المدافعون عن كرامة وطنهم؟

بدل أن يستقبلوا استقبال الفاتحين، وبدل أن ينقلوا من الحدود ومواجع السجن إلى قصر يستريحون فيه ويكرمون ويحتفل بهم الناس نقلوا إلى السجن الأردني. سجنوا في الأردن الذي كانوا يدافعون عن كرامته وعزته، سجنوا في الأردن الذي يجب أن يكرمهم ويحتفل بهم، سجنوا في وطنهم على الرغم من أنهم قضوا مدَّة السجن التي حكموا بها ظلماً وعدواناً في الأرض المحتلة. سجنوا وحقهم أن يكرموا!!

هذا ما حدث في الأردن، وهذا ما حدث في بلغاريا.

فكيف ينهزموا ولا ننهزم؟

وكيف ننصر ولا ينتصروا؟

بل كيف أن يمكن أن ننتصر وهذه عقليتنا؟

دمشق في ٢٠٠٧/٧/٢٧م

الفصل التاسع عشر
اعتقال البشير واعتقال الضمير
قراءة في أبعاد مذكرة الاعتقال

في سابقةٍ هي الأولى من نوعها أقدمت محكمة العدل الدوليَّة يوم الثلاثاء ٢٠٠٩/٣/٣م على إصدار مذكرة اعتقال للرئيس السُّوْدَاني، العربي، **عمر حسن البشير**. ولنلاحظ أنها مذكرة اعتقال، اعتقال رئيس دولة على رأس عمله، وهي في الوقت ذاتها مذكرة إحضار فوريٍّ.

أعلن الأمريكي الصهيوني **أكامبو** المدعي العام لمحكمة الجنايات الدوليَّة قبل صدور مذكرة الاعتقال بأنَّ **البشير** سيعتقل فور مغادرته السُّوْدَان، أي إنَّ جميع

دول العالم تعمل شرطة لديه، لدى الولايات المتحدة الأمريكيَّة ومنها الدول العربيَّة.

على ما في ذَلكَ من مضضٍ مضاعفٍ فإنَّهُ يمكن أن يُسْتَوْعَبَ عقلاً إلى حدٍّ ما، أمَّا العجيب الغريب فهو أن تدعو المذكرة الدَّولةَ السُّوادنيَّةَ إلى تسليم الرئيس السُّوْدَاني إلى محكمة العدل الدوليَّة بأقصى سرعة وإلا ستتعرض السُّوْدَان للعقوبات الدولية واعتقال الرئيس السُّوْدَاني بقرار من مجلس الأمن الدولي تحت البند السابع الذي يجيز استخدام القوة من أجل تطبيق القرار.

على الرَّغْمِ من عدم جواز تجاوز ما سبق في صورته التي قدمناها فإننا سنتجاوزه ونعده تطبيقاً لقرارات الشَّرعية الدَّولية وتحقيق العدل الدولي واقتصاصاً من الظالمين. ولكن لا بد أن نتساءل:

ما جريمة الرئيس السُّوْدَاني **عمر حسن البشير؟**

وهل هناك شرعية دولية أصلاً؟

وهل تطبق على الجميع على حدٍّ سواء؟

وما أبعاد هٰذه المذكرة وما مقاصدها؟

التُّهمة التي وجهت إلى الرئيس السُّوْدَاني هي ارتكاب المجازر الجماعية والإبادة في دارفور، ودارفور جزء من السُّوْدَان وليس دولة أخرى ولا في دولة أخرى. إنَّ ارتكاب جرائم الإبادة أمرٌ غير مسوَّغٍ على أيِّ حالٍ، ولا يعفي الرئيس السُّوْدَاني أن تكون جرائم الإبادة التي ارتكبها كانت ضمن بلده السُّوْدَان. ولكن السؤال الجدير بالطرح هو: هل هناك فعلاً جرائم إبادة؟

على الرَّغْمِ من الحصار الكبير والشديد الذي فرضه الأمريكان على جرائمهم في العراق فقد تم تصوير الكثير مما يثبت من دون أدنى شكٍّ وجود جرائم إبادة

جماعيَّة وجرائم حرب، وعلى الرَّغْمِ من وعورة أرض أفغانستان الكبيرة واتساعها الكبير الذي يجعل من وجود الإعلام أمراً شبه متعذر فقد رصدت وسائل الإعلام الكثير جدًّا من جرائم الإبادة الجماعيَّة والمجازر التي ارتكبها الأمريكان في أفغانستان. وعلى الرَّغْمِ من الحصار الكبير والشديد الخانق على وسائل الإعلام في فلسطين لمنع تصوير جرائم الكيان الصهيوني فقد استطاعت وسائل الإعلام تغطية الفظاعات الكبيرة التي ارتكبها ويرتكبها الكيان الصهيوني في فلسطين... والسؤال هنا: أين صور هذه المجازر التي يتحدثون عنها؟ أيعقل أن يكون الإعلام متآمراً مع الحكومة السُّوْدَانيَّة **وعمر حسن البشير**؟! إذا كان الإعلام العربي والإسلامي متآمراً معه في عدم التغطية فأين ما صورته وسائل الإعلام الغربيَّة وهي تسرح وتمرح في دارفور ولا يوجد حظر على وسائل الإعلام في دارفور، ولا تستطيع الحكومة السُّوْدَانية أن تقوم بمثل هذا الحظر والحصار لوسائل الإعلام في دارفور؟

إنَّ ما حدث في دارفور نوع من الحرب الأهليَّة، بغض النظر عن خلفياتها ومن يقف وراءها، وفي أي حرب أهلية أو غير أهلية هناك ضحايا. ولكن المؤكد أنَّ الجرائم التي أدين بها **عمر حسن البشير** ليست كما يقولون وإلا لصفعتنا بها وسائل الإعلام الغربية ووضعتها في أفواهنا مضغة نعلكها على الرَّغْمِ منَّا كل لحظٍ وحين، ولكنها لم تستطع أبداً أن تقدم ما يثبت دعواها إلا الكلام الذي يجتره المعارضون المأجورون الذي لا يختلفون عن المعارضة العراقية التي ركبت الدبابات الأمريكيَّة وفرحت باحتلال العراق ودماره وجعلت الاحتلال عيداً وطنيًّا.

حتى نعرف جريمة **البشير** يجب أن نتذكر العبارة التي صارت مأثورة وهي أنَّ من تصافحه أمريكا عليه أن يغسل يديه سبع مرات، ومن تزكيه أمريكا عليه أن يشك في نفسه. والعكس صحيح فإنَّ من تهاجمه أمريكا

فإنه على صواب أو على الأقل هو ضد أمريكا بصدق، أو أَنَّهُ يعمل ما لا ترضى عنه أمريكا. والذي يعمله الرئيس السُّوْدَاني **عمر حسن البشير**، وهي جريمته في الوقت ذاته، أَنَّهُ لا يسمح بتجزئة السُّوْدَان، ويحافظ على وحدة دولته، وبرفض الرضوخ للأوامر الأمريكيَّة، لأنَّ محكمة العدل الدولية ليست إلا واحدة من محاكم السياسة الأمريكيَّة.

هذه هي الجريمة الأساسيَّة للرئيس السُّوْدَاني **عمر حسن البشير** ولكنها ليست كل الحكاية، وأوَّل ما يجب أن ننفيه من الأسباب هو أنَّ مذكرة الاعتقال هذه لا تمت بصلة إلى احترام الشرعيَّة الدوليَّة، ولا احترام حق الشعوب، لأنه لا يوجد شرعية دولية ولا عدالة دولية ولا احترام لحق الشعوب، وهذا أمر صار مسلمة بل بداهة منذ زمن غير قريب، هناك سيادة أمريكيَّة وغربية على منظمات الأمم المتحدة لتحقيق المصالح الأمريكيَّة والغربيَّة وليس غير ذلك. ولذلك لا تطبق قوانين الشرعية الدولية على الجميع على حدٍّ سواء ولا شبه سواء ولا ما دون ذلك بكثير، هناك ازدواجيَّة وقحة وقاحة لا حدود لها في تطبيق قوانين الشرعيَّة الدوليَّة، وهناك انتقائية فاجرة فجوراً صارخاً في اختيار من تطبيق عليهم الشرعية الدوليَّة؛ فالعرب والمسلمون تحديداً هم من تتخذ بحقهم قرارات الإدانة الدوليَّة حتى مع براءتهم، وهم وحدهم يحكمون من دون ذنب، وهم وحدهم الذين تطبق عليهم القرارات مع انتفاء الأدلة. أما الغرب وربيبه الكيان الصهيوني ومن والاهم فهم أبرياء مهما ارتكبوا من جرائم ومجازر وفظاعات!! والواقع الذي نعيشه وعشناه منذ أكثر من نصف القرن يشهد بذلك شهادة تمتنع على الطعن أَو الشك أو كليهما.

الجريمة التي يعاقب عليها **البشير** إذن هي أَنَّهُ عربيٌّ، هي أَنَّهُ مسلم، هي أَنَّهُ يريد الحفاظ على وحدة السُّوْدَان. والحفاظ على وحدة السُّوْدَان هو مفتاح السبب الرئيس الثاني لإصدار مذكرة الاعتقال بحقه إنَّ هذه المذكرة هي خطوة تأسيسية من أجل تقسيم السُّوْدَان الذي دنا موعد استفتائه في الجنوب كما نصت اتفاقيَّة المصالحة، لأنَّ إصدار هذه المذكرة تمهيد لبلبلةٍ واضطراب داخلي يجعل من تصويت الجنوبيين على الانفصال أمراً محتوماً خاصَّة مع وجود رقابة دولية وضغوط أمريكيَّة من أجل تقرير الانفصال كما حدث في تيمور الشَّرقيَّة قبل أعوام. وقد مهدَّ لذلك أحد أقطاب المعارضة الجنوبيَّة إذ أعلن منذ نحو الشَّهر إنَّ الجنوبيين سيصوِّتون من أجل انفصال الجنوب.

وبغياب السُّلطة وخضوعها لهذا الابتزاز الدولي سيجعل من انفصال دارفور أيضاً أمراً أكيداً، وليتحقَّق بذلك جزءٌ من المشروع الأمريكي للسُّودان والمنطقة وهو تجزئة السُّوْدَان والدول العربية إلى أكبر عددٍ من الدُّويلات. وهذا ما سيكون موضوع الكلام في مقال اعتقال **البشير** والصمت العربي المخزي.

اللاذقية في ٢٠٠٩/٣/٣م

الفصل العشرون

مذكرة اعتقال البشير

والصمت العربي المخزي العجيب

ثَمَّةَ من يرى أنَّ **عمر حسن البشير** مجرم حرب، وأنه قام بمجازر جماعية في دارفور، وأنه قام بتجويع أهل دارفور، وأنه لذلك يستحق أن يحاكم في محكمة الجنايات الدولية.

حسناً، نحن لن نعترض على ذلكَ، ونوافق عليه تماماً. ولٰكنَّ لننظر إلى الأمر من أكثر من زاوية وجهة. ولنبدأ من زاوية **صدام حسين**.

هٰذه هي حكاية **صدام حسين** تماماً تقريباً منذ البداية حَتَّى صدور قرار الحرب والاحتلال، فقد قيل إنَّهُ طاغية، وإنه يرتكب المجازر بحق شعبه، وأنه يجوع

شعبه من أجل صنع السلاح، ولذلك يجب أن يزاح عن السلطة، ولكنَّ إزاحته عن السلطة كانت باحتلال العراق، ثمَّ أسره ومحاكمته، وفي المحاكمة وما بعد المحاكمة تبين من غير لبس كما كان هناك تحريف وتزوير وتشويه للحقائق، فكانت المحاكمة محاكمة للاحتلال وزبانيته العراقيين الذين جاؤوا على دبابات الاحتلال، ومع ذَلكَ أعدم البريء الشَّريف وكوفئ المجرم والخائن والعميل.

التقت الحكايتان حَتَّى المنتصف، وستتشابه الحكايتان في النصف الثاني إذا تابع الحدث سيرته المرسومة. وقد أبنا في مقال سابق وَهَنَ المزاعم التي بنى عليها **أوكامبو** اتهاماته **للبشير**، ناهيك عن أَنَّهَا لا تعادل عُشْرَ عُشْرَ ما قام **شارون** أو **بوش الأب** أو **بوش الابن** أو أيٌّ من قادة الكيان الصهيوني على الأقل في القرن الحادي والعشرين.

فهل سينتظر العرب حَتَّى يتابعوا النصف الثاني من الحكاية ويعلنوا كالبلهاء أنهم فوجئوا بأنَّ **البشير** لم يكن كذَلكَ، وأنه كان مظلوماً، وأنه كان يسعى لوحدة شعبه ودولته...

حسناً. البشير ليس بريئاً. البشير مدان. ولٰكن حَتَّى لو كان **البشير** مداناً بما أتهم به لإصدار مذكرة الاعتقال فإنَّ إصدار مذكرة اعتقال بحقِّه ليس إلا طعنة نجلاء في ضمير العرب وكرامتهم وهويتهم. وأصل إدانة الحكام والأنظمة العربية وعلى رأس أسباب إدانتهم بالتخاذل والصمت المخزي هو أنهم هم من يجب أن يتصرف، هم من يجب أن يحل مشكلات السودان، وليس أن يتركوا لمن هب ودب من دول العالم لتصول وتجول في أرض العرب.

إذن في الحالين كليهما؛ سواء أكان **البشير** بريئاً أم مداناً، فإنَّ مذكرة الاعتقال هي مذكرة اعتقال للكرامة العربيَّة وليست مذكرة اعتقال

لـرئيس دولـة عربيَّـة، لأنهـا كمـا أعلـن الـرئيس **القـذافي** في قمَّـة دمشـق ٢٠٠٨م، وقبلـه أعلـن ذلـكَ الإعـلام العـربي مئـات المـرات، قضـم للـدول العربية والرؤساء العرب واحداً تلو الآخر.

ومع ذلكَ يصر الحكام العرب على عدم الفهم إصراراً يدعو إلى الريبة ويضع العقل في الكف. فقد أصدرت محكمة العدل الدوليَّة يوم الثلاثاء ٢٠٠٩/٣/٣م مذكرة اعتقال الرئيس السوداني **عمر حسن البشير**، وجاء ذلكَ بعد نحو سنة من التَّحضير والتهديد والوعيد. وعلى مدار أشهر التَّهديد والوعيد التي سبقت إصدار مذكرة الاعتقال لم يتحرَّك العرب أيَّ تحرك ذي معنى، استنكرت بعض الدُّول العربيَّة، وعارضت بحياءٍ مخجلٍ إصدار المذكرة، وكأنَّ الحكام العرب لم يكونوا أحياء قبل سنوات، أو قبل أشهر، أو قبل أيام... ففي كلِّ يومٍ تتعلَّم دول العالم كلها أنَّ لغة الشَّجب والإدانة لا قيمة لها ولا معنى ولا تمتلك أيَّ قدرةٍ على تحقيق أيِّ فعلٍ، ومع ذلكَ لا يجد الحكام العرب إلا هٰذه اللغة الصَّماء الجوفاء لغةً للدفاع عن أنفسهم، وكأنَّهُم خارجون للتوِّ من كهوف العصر الحجري.

صَدَرَ القرار ولم يصدر من العرب أيُّ ردُّ فعلٍ ذي أدنى قيمةٍ، وأرسل بعضهم وزير الخارجيَّة تهريباً وتسللاً إلى الجامعة العربيَّة للاجتماع والتباحث، وبعد التَّباحث بَيْنَ الحكماء من وزراء الخارجيَّة العرب انتهوا إلى إدانة إيران على تصريحاتها اللامسؤولة ومطامعها في المنطقة العربيَّة!! والحمد لله أنهم أدركوا أنَّ لإيران مطامع في المنطقة، ولٰكنَّهُم بكل تأكيد لن يتخذوا أي إجراء لمواجهة هٰذه المطامع.

ذهبوا ليبحثوا في مذكرة اعتقال **البشير** فانشغلوا بعلف الحمير، ولٰكن بعد حينٍ قصيرٍ أعلن أمين الجامعة العربيَّة السيد الكبير **عمرو موسى** أنَّ الجامعة ستتقدَّم بطلبٍ من أجل تأجيل تنفيذ المذكرة!!

لا حول ولا قوة إلا بالله وحسبنا والله ونعم الوكيل.

إنَّ النتيجة التي انتهت إليها الجامعة العربيَّة، وهي وحي قادتها، أسوأ بألف ألف مرَّة من عدمها، فلو لم يجتمعوا لم يخرجوا بنتيجة، وعدم وجود نتيجة أشرف بآلاف المرات من هٰذه النتيجة التي توصلوا إليها.

إنَّ طلب القادة العرب تأجيل مذكرة اعتقال **البشير** لمدَّة سنة **لا يختلف أبداً عمَّن رأى العشرات يتكالبون على ابنته لاغتصابها فراح هو ينظِّم الدَّور بينتهم**، هٰذا إن لم يقم بشيء آخر أستحي من ذكره. فما معنى أنَّ القادة العرب يدعون المحكمة الدوليَّة إلى تأجيل تنفيذ مذكرة التَّوقيف لمدة سنة؟ ألا يعني ذٰلكَ قبولهم التَّام بها وحرصهم الشَّديد على سرعة التَّنفيذ كما كانوا تماماً في الدعوة إلى احتلال العراق والحرص على الإسراع بالقضاء على نظام **صدام حسين؟**

المسألة ليست مسألة عجز الحكَّام العرب عن الفعل على الإطلاق، لأنَّ العرب لو أرادوا لصنعوا المعجزات، ولو كانوا يريدون فعل شيءٍ لفعلوا، **ولذٰلك لا تجوز هنا عبارة: أكلت يوم أكل الثور الأبيض، وإنَّمَا هي مسألة خيانة متأصلة لا مجال لإصلاحها أو تبديلها، ولا أمل في ذٰلكَ على الإطلاق.**

إنَّ الحكام العرب، وهم الأكثرية، يعملون معاً في مخطَّطٍ كبيرٍ وحقيرٍ وهو تصفية الحضور العربي، والقضية العربية، والقوة العربية، بل تصفية الوجود العربي خطوةً خطوة. وهؤلاء الحكام الذين يفرحون بالقضاء على القوى العربية والإسلامية الممانعة للمشروع الأمريكي الصهيوني . إن كانت صادقة في ممانعتها . هم أنفسهم من الصَّهاينة والأمريكيين، وكما وُضِعَ الكيان الصهيوني في فلسطين لتنفيذ مشروع غربيٍّ تاريخيٍّ، كذٰلكَ فإنَّ الحكام العرب الذين لا يريدون فعل أيَّ شيء من أجل كرامة الأمَّة، فإنهم يساهمون مرَّةً تلو أخرى في إسقاط صوت الحق شرذمة الأمة

وتفتيتها، سيراً صريحاً في مشروع الغرب عامة والولايات المتحدة خاصَّة: تقسيم المقسَّم، وتجزيء المجزَّأ.

لم نعد بحاجة إلى أن نسأل أو نعرف لماذا هٰذا الصَّمت العربيِّ المخزي العجيب الغريب الذي لا يصدقه عقلٌ، ولا يقبله منطقٌ، ولا يستوعبه ضميرٌ.

ولٰكن الذي لم يفهمه هؤلاء الحكَّام العرب هو أنَّهم مهما أخلصوا للصهيونية والولايات المتحدة الأمريكيَّة فإنَّهم سيكونون الوجبات المتتالية للمخطَّط الصهيوأمريكي، ولن يخدمهم تاريخهم الخياني أبداً، وقد شاهدنا وشاهدوا جميعاً كيف تتخلَّى الولايات المتحدة، ومثلها الكيان الصهيوني، عن عملائهم الذين باعوا ضمائرهم وأوطانهم للصهيونية وأمريكا، ومثل ذٰلكَ ما حدث في لبنان، والباكستان، وأمريكا الجنوبيَّة وغير ذٰلكَ كثير.

لقد فهم الحكَّام العرب الكثير فلماذا لم يفهموا السِّياسة الأمريكيَّة والصهيونية التي لا تحترم عملاءها أبداً وتتركهم في أول مواجهة بَيْنَ أنياب الأسود؟

دمشق في ٢٠٠٩/٣/٨م.

الفصل الحادي والعشرون

ماذا بعد مذكرة اعتقال البشير؟

بعد نحو سنة من التَّحضير والتَّهديد والوعيد أقدمت محكمة العدل الدوليَّة يوم الثلاثاء ٢٠٠٩/٣/٣م، في سابقة هي الأولى من نوعها، على إصدار مذكرة اعتقال الرئيس السوداني **عمر حسن البشير**، وبخطوة طريفةٍ دعت المحكمة أن تقوم الدَّولة السُّودانيَّة بتسليم الرَّئيس السُّوداني، أي دعت الرَّئيس السُّوداني إلى العمل بمضمون القرار وإصدار مذكرةٍ يقرِّر فيها اعتقال نفسه لتسلمه الحكومة السُّودانيَّة لمحكمة العدل الدُّوليَّة.

هي سابقةٌ خطيرةٌ بكلِّ المعايير لأنها أوَّل مرَّة تصدر مذكرة اعتقال بحق رئيس دولة على رأس عمله.

لـن نتحـدَّث علـى ازدواجيـة المعـايير الدوليَّـة فهٰـذي ليسـت بالجديـدة وللكـلام فيهـا شـؤونٌ وشـجونٌ، ولكنَّنـا لا نسـتطيع إلا أن نـذكر أنَّ مثـل هٰـذه السُّـلوكات الـتي تصـدر عمـا يسـمى الشَّـرعيَّة الدوليَّـة لا تكـون إلا بحـقٍّ العـرب أو المسـلمين بغـضِّ النَّظـر عمـا إذا كانـت علـى حـقٍّ أم ظلمـاً وعـدواناً. أمَّـا الغـرب خاصَّـة ومـا عـدا العـرب والمسـلمين عامَّـةً فـلا يمكـن أن تصـدر الشـرعيَّة الدوليَّـة أيَّ قـرار بحقِّهـم مهمـا بـالغوا في العـدوان والجـبروت والإجـرام، ومـا كـان مـن اسـتثناءات فهـي أنـدر مـن النـدرة ولـذرِّ الرَّمـاد في العيـون وحسـب كمـا كـان في محاكمـة الـرَّئيس الصـربي السـابق **رادوفـان كـارازيتش** الـذي اسـتمرت محاكمته ست سنوات ومات والمحكمة في بداياتها.

على أيِّ حالٍ فإنَّ الكلام على هٰذه المسألة طويلٌ، وقد بسطنا القول فيه غير مرَّة. الذي يعنينا هنا هو إلقاء نظرة على ما بعد إصدار مذكرة اعتقال **عمر حسن البشير**.

إنَّ ما بعد لا ينفصل عمَّا قبل، فالمطلوب مما بعد مذكرة اعتقال **البشير** مرتبطٌ بما أدَّى إليها من جانب أساسيٍّ، ولٰكن إلى جانب السبب المباشر هناك أسباب غير مباشرة.

لقـد صـدرت مـذكرة الاعتقـال بحـقِّ **عمـر حسـن البشـير** بـزعم ارتكابـه مجـازر وجـرائم وحـرب وهلـم جـرّاً ممـا يشـبه ذٰلـكَ. والحقيقـة أَنَّـهُ حَـتَّى ولـو كـان قـام بـذٰلكَ فعـلاً فـإنَّ هٰـذا الأمـر لـيس هـو سـبب مـذكرة الاعتقـال، وإنمـا سـبب الاعتقـال هـو وقـوف **البشـر** أمـام محـاولات انفصـال الجنـوب والشَّـمال عـن السـودان أغـنى بلـد عـربي علـى الإطـلاق لأنـه وحـده سـلة غـذاء الـوطن العـربي، وأوسـع الـدول العربيـة مسـاحةً، وأثراهـا مـوارد، وأخصـبها أرضـاً. ولـذٰلك يـرى

الغرب وخاصَّة الولايات المتحدة أنَّهُ لا يجوز أن يبقى السودان دولةً واحدةً، ولأسباب كثيرة منها:

. الحيلولة دون إمكان قيام دولة قويَّة في أيِّ مستقبلٍ قريب أو بعيدٍ في السودان.

. الحيلولة دون قيام تنمية متكاملةٍ في السُّودان.

. إعاقة أيِّ جهودٍ أو مساعٍ وحدويَّةٍ عربيَّةٍ في المستقبل القريب أو البعيد بزيادة عدد الدُّول العربيَّة الأمر الذي سيعيق أيَّ تقاربٍ عربيٍّ عربيٍّ.

. الاستفادة من فرصة وجود معارضةٍ مرتزقةٍ في الجنوب ودارفور ترضى بالوصاية الأمريكيَّة واستنزاف خيرات السودان.

ولذلك فإنَّ أوَّل ما يمكن توقعه مما بعد قرار اعتقال **البشير** هو التَّمهيد لفصل الجنوب ودارفور على الأقل عن السودان، وذَلكَ من خلال إثارة البلبلة والخلافات والشُّعور بعدم الطمأنينة، وإيجاد المسوغات للتَّدخل الدولي لحماية الانفصاليين.

هٰذا المخطط على خطورته ليس الوحيد وإنما هناك ما هو أخطر من ذَلكَ. فقد باتت الولايات المتحدة عاجزةً عن خوض الحروب في المنطقة العربية بعدما عانت ما عانت من وجودها في العراق وفي الصومال وتريد السَّيطرة على الوطن العربي من خلال سياستها السَّابقة التي برعت فيها وهي سياسة الابتزاز والإذلال التي تسيطر بها على كثير من الدول العربية ولا ندري ما الأشياء التي تبتزُّ بها هٰذه الدُّول العربيَّة حَتَّى تخضع لها هٰذا الخضوع المذل المشين الفاضح.

هناك دولٌ عربيَّةٌ وإسلاميَّةٌ ما زالت خارج الطَّوق الأمريكيِّ وتعد متمردة، وبعضها موضوع على قائمة الإرهاب أو دعم الإرهاب، وفيما يبدو قد عجزت الولايات المتحدة عن تركيع أو تطويع هٰذه الدول بمختلف الوسائل والأساليب والضغوطات التي مارستها، **وهي في الأصل عاجزةٌ عن خوض حروب ضد هٰذه الدول، ليس لقوة هٰذه الدول، ولا لضعف الولايات المتحدة، ولكن لأنها لا تستطيع فتح طاقة جهنم على نفسها كما فعلت في العراق التي احتلتها بسهولة ولكنَّ بقاءها في العراق مصيبة لا تستطيع احتمالها، وخروجها من العراق مصيبة لا تطيق دفع ضريبتها.**

فماذا تفعل الولايات المتحدة الأمريكية؟

اخترعت هٰذه التجربة الجديدة بضحية اسمها الرئيس السوداني **عمر حسن البشير** بزعم محاكمته على ما ارتكبه من جرائم حرب وإبادة ضدَّ أهالي دارفور. ويشبه ذٰلكَ تجربة محاربة الإرهاب باحتلال الدول التي تدعم الإرهاب باحتلال أفغانستان أولاً لقراءة خريطة التَّفكير العالمي وردود الأفعال التي يمكن أن تكون، ودشَّنت ذٰلكَ باحتلال العراق.

إذن مع خطورة النتيجة الأولى التي توقعناها من مذكرة الاعتقال فإنَّ هٰذه المذكرة تجربة لقراءة خريطة ردود الأفعال العالمية عامَّة والعربيَّة خاصَّة، فإذا ما نجحت هٰذه الخطوة، وقد نجحت بامتياز حَتَّى الآن، فإنَّها ستكون سلاحاً لا يقلُّ خطورةً عن احتلال الدول احتلالاً فعليًّا، هٰذا إن لم يكن أكثر فاعليَّة من الاحتلال، فمن خلال التلويح بمذكرة التوقيف ضدَّ أيِّ رئيس في العالم العربي أو الإسلامي يمكن أن يصير مادة سهلة للابتزاز وتقديم التنازل، هٰذا إن لم تستخدم الولايات المتحدة هٰذه الورقة استخداماً

مباشـــراً ضـــدَّ أيِّ رئـــيس أو زعـــيمٍ أو قائـــدٍ تعجـــز عـــن أن تطالـــه بـــالطرق الأخرى، مثل **خالد مشعل** أو غيره.

محكمة **الحريري** على الأبواب ووراء الأكمة بالتَّأكيد ما وراءها، ولا أظنُّ إلا أنَّ لهذه المحكمة ستقوم على ابتزازٍ كبيرٍ وكثيرٍ لعدد من المسؤولين الكبار في سوريا ولبنان أو رُبَّما أيِّ بلدٍ عربيٍّ أو إسلاميٍّ آخر، فأمريكا ليست معنيةً **بالحريري** بشخصه ولا باكتشاف قاتله، وإنما هي معنيةٌ بإدارة الأزمة بالطَّريقة التي تخدم مصالحها بأفضل طريقةٍ ونتائج كما حدث ويحدث في موضوع تفجير طائرة لوكيربي الذي كان بيان الاتهام الأول فيه موجَّهاً إلى سوريا، ثمَّ إلى إيران، ثمَّ إلى مجهول قيد التَّحقيق ثمَّ وجدت الولايات المتحدة أن أفضل اتجاه للبوصله هو ليبيا؛ ليبيا المتهم سواء أحقاً أم افتراءً.

سيقول بعضٌ بضعف الأدلة!! وسنقول متى كانت الولايات المتحدة بحاجةٍ إلى دليلٍ أصلاً حَتَّى تتهم وتدين وتحاكم؟ وهل صدرت مذكَّرة اعتقال **البشير** بتهم مؤكَّدة؟ وهل كانت تجهل أن أدلَّة إدانة العراق كلها مفبركة وزائفة؟!

إذا نجحت الولايات المتحدة في اعتقال **البشير** أو ابتزازه فإنها ستكرِّر التَّجربة، ولن تكثر من تكرارها إلا إذا وجدت انصياعاً لا لَبْسَ فيه ولا خجل من العرب خاصَّة والمسلمين وعامَّة. فماذا فعل العرب والمسلمون؟

لم يفعلوا ولن يفعلوا حَتَّى تزلزل الشعوب الأرض تحت أقدامهم وتجعلهم عبرةً لمن يعتبر ولا يعتبر...

٢٠٠٩/٣/٩م

الفصل الثاني والعشرون
للذكرى والتاريخ
أمريكا تحفـــر قبرها الآن

الولايات المتحدة تحفر قبرها بيدها الآن كلام تكرر كثيراً في الآونة الأخيرة، ولَكنَّهُ في حقيقة الأمر ليس بالجديد، فمنذ بدأت معامل المشروع الأمريكي بعد انهيار الاتحاد السوفيتي في الظهور ظهرت الدراسات والأبحاث التي تتناول آفاق المشروع الأمريكي والسيادة الأمريكية في العالم، ومنها كتابي الذي صدر منذ أربع عشرة سنة (١٩٩١) تحت عنوان كيف ستواجه أمريكا العالم؟؛ الهيمنة الأمريكية والنظام العالمي الجديد، وكان الفصل الأخير بعنوان الحرب من أجل السلم الذي بينت فيه أنَّ الولايات المتحدة مقدمة على حروب في أماكن محددة من العالم من أجل الحفاظ على سلمها، وكانت الخاتمة مخصوصة لتبيان أن الولايات المتحدة

إمبراطورية على طريق الهاوية. وفي عام ٢٠٠١م كانت تفجيرات الحادي عشر من أيلول التي كانت صناعة أمريكية بامتياز من أجل تدشين المرحلة القامة من عمر البشرية بقيادة أمريكية بافتعال الحروب التي تديرها هي في الأماكن التي تريدها وتحقق وجودها وانتشارها وسيطرتها وجعل العالم تحت السَّيطرة، وقد كان لي في تحليل لهذا الحدث كتاب: تفجيرات أيلول وصراع الحضارات الذي صدر عام ٢٠٠٣م. وفي كلا الحالين نحن أمام حقيقة واحدة هي أنَّ الولايات المتحدة الأمريكية تقود نفسها إلى حتفها على رغم أنفها.

كلُّ ذَلكَ شيءٌ وما نحن فيه اليوم شيءٌ آخر، شيءٌ آخر تماماً. ذَلكَ أنَّ الدِّراسات السَّابقة دراسات وأبحاث نظريَّة، صحيحٌ أنَّها سَبَقَت الواقع، ولَكنَّها في حقيقة الأمر كانت شبهَ عاجزةٍ عن توقُّع ما تمارسه الولايات المتحدة اليوم من جرائم في حقِّ الإنسانية والأديان والقيم.

يوم أمس الخميس ٢٠٠٥/٣/٣١م أجرت محطة الجزيرة الفضائيَّة لقاءً مع الأسير المغربي **محمد مزوز** (وأرجو ألا أكون قد نسيت الاسم) المفرج عنه من معتقل چوانتانامو. الذي هو واحد من آلاف اعتقلتهم الولايات المتحدة تعسفيًّا وزجتهم في معتقل چوانتانامو؛ كلُّ من له لحية تمَّ اعتقاله، كلُّ من اسمه عربي تَمَّ اعتقاله... آلاف من المعتقلين لم تثبت الإدانة (بالشروط الأمريكيَّة) إلا على أربعة منهم، ومع ذَلكَ فالكل ما زالوا معتقلين؛ من دون محاكمة، بتحقيقات سرية لا يطلع عليها أحد، من دون محامين يحضرون مع المتهمين...

ومع ذَلكَ نقول: ما زالوا معتقلين أمرٌ يسيرٌ وسهلٌ، سهلٌ جدًّا ومقبولٌ جدًّا أمام ما يحدث في لهذا المعتقل، أي اللامعقول صار معقولاً أمام هول الممارسات التي تتم في لهذا المعتقل.

قبل أن نتحدث عما لا يجوز السُّكوت عنه بأيِّ حالٍ من الأحوال، وما يجب أن يعرفه أيُّ عربيٍّ ومسلمٍ بالضَّرورة، أشار المعتقل المفرج عنه **محمد مزوز** إلى أنواع التعذيب التي تتم هناك.

الضَّرب والكسر صار معقولاً أمام الممارسات الأمريكيَّة الجديدة، إنَّهم يعرون المعتقلين أياماً تعريةً تامَّةً، وهم من هم في فهم العورات، ناهيك على انتهاك كل القيم الإنسانيَّة في هٰذه الممارسة الإذلاليَّة حَتَّى ولو كانوا لا يعرفون الله لا هم ولا المعتقلون. ثمَّ يسلِّطون عليهم كلاباً متوحشةً جائعةً تنهش في أجسادهم، وقد أشار المعتقل إلى الكثير منهم قد بترت بعض أعضائه بسبب ذٰلكَ، لأنَّهُم وبعد أن تعضهم الكلاب يتركونهم أيضاً عراة مقيدين حَتَّى تتعفَّن جراحهم. ناهيك عن استخدام الكهرباء هٰذا الاختراع العظيم، في تعذيب المعتقلين لانتزاع الاعترافات منهم، وأية اعترافات؟!!

وقد تحدَّث أيضاً عن الاغتصاب، وحسب سياق الكلام أنَّ المحقِّقات هن اللواتي كنَّ يهدِّدن بذٰلكَ أو يقمن به، وقد سمعنا من آخرين أنَّ المحقِّقات يدخلن عارياتٍ على المعتقلين في أثناء التَّحقيق... في حين أنَّ المحقِّقين في العالم العربي هم من يقوم باغتصاب المعتقلين، إلى جانب كل ما سبق وأكثر بكثير.

ولذٰلك رُبَّما يتمنَّى واحدٌ ممن يقرأ ذٰلكَ أن يكون معتقلاً في چوانتنامو، ولكن لماذا يتمنى بإمكانه أن يذهب الى هنالك ويجد مكانه. ولٰكن ليتذكر أنَّ دماء الحيض ستلطخ وجهه كما فعلت بعض المحقِّقات حسبما أشار المعتقل المغربي. لم تفعل المحققات ذٰلكَ من باب المتعة ولكن من باب الإذلال. ومع ذٰلكَ، على أيِّ حال، فإنَّ الأنظمة العربية أشد دموية ووحشية في التَّعامل مع المعتقلين، أي الأبرياء، لأنَّهُم معتقلون بسبب رأيٍ يخالف رأي الأنظمة العربيَّة.

لن نستفيض في أساليب التَّعذيب هنا أو هناك، وحسبنا أنَّ ذَلكَ يعطي مؤشراً ولو صغيراً على الاحتمالات الأخرى الممكنة التي مارسها الأمريكيون في چوانتانامو.

ولكن الأمر الذي لا يجوز السكوت عليه على الإطلاق، وهو ما أشار إليه المعتقل **محمد مزوز** على أنَّهُ أكثر ما أزعجهم، وكان الأمريكيون يدركون أنَّ هٰذا أكثر ما يزعجهم، هو أنهم كانوا يلقون القرآن الكريم في بالوعة المرحاض/ بيت الخلاء، كانوا يمزقونه ويلقونه في المرحاض، ويبولون على القرآن الكريم...

الأمر ليس خطيراً كما تتصورن. إنَّهُ أخطر بكثير جدًّا جدًّا جدًّا مما يمكن أن تتخيلوا وتتصورا. سيَّان أكنتم تؤمنون بالله أم لا تؤمنون.

ماذا ننتظر بعد ذَلكَ أيها السَّادة؟؟

ماذا ننتظر أكثر من ذَلكَ أيها السَّادة؟؟؟

حدثت فظائع سجن أبو غريب التي لا يمكن أن تقبل ولا أن تطاق وسكتنا فوصلنا إلى ما هو أعظم وأخطر.

أتدرون ماذا حدث في معتقل أبو غريب؟

ما عرفتموه من وسائل الإعلام ليس إلا صورة مصغَّرةً لما حدث ويحدث. لقد وصلتنا بضع صور من آلاف الصُّور والممارسات عن اغتصاب الجنود الأمريكان للسجينات العراقيات اغتصاباً جماعيًّا... صورٌ قليلةٌ هي التي وصلتنا عن هٰذا الاغتصاب للماجدات العراقيات... وسكتنا فوصلنا إلى ما هو أعظم بكثير.

صور قليلة وصلتنا عن العبث الجنسي الذي كان يفرضه الجنود الأمريكان على المعتقلين؛ يجبرونهم على ممارسة اللواطة مع بعضهم بضروب من العبثية الجنسيَّة، بل لقد روى المفرج عنهم كيف أن المرء منهم يفاجئ بعد أن يرفع الغطاء

عن عينيه أنَّهُ كان يمارس الجنس مع صديقه أو ابن عمه أو أخيه... ومنهم من ألزم على ممارسة الجنس مع أخته... الصور وصلتنا وقد نشرتها بعض الصحف العالميَّة. وسكتنا، سكتنا فوصلنا إلى ما هو أعظم.

صورٌ قليلةٌ وصلتنا منذ فترةٍ غير بعيدةٍ تصوِّر لنا الجنود الإنجليز الأشاوس وهم يلعبون برؤوس الضَّحايا كرة القدم... الله أكبر... يقطعون رؤوس العراقيين ويلعبون ويتقاذهونها بالأرجل!!! هٰذه هي التسلية التي قبلنا بها لما سكتنا على احتلال العراق، لما تكالبت الحكومات العربية على الشكوى من الديكتاتور **صدام حسين** الذي يهدِّد أمنها بامتلاكه أسلحة الدمار الشامل، وسعت هٰذه الحكومات سعي المسعورين للقضاء على نظام **صدام حسين**... قضي على هٰذا النظام، ووصلنا إلى ما وصلنا إليه مما ترون... سكتنا، رأينا الصور وسكتنا، فوصلنا إلى ما هو أعظم من ذٰلكَ وأخطر.

وُضِعَ أبناؤنا في أقفاص القرود في چوانتانامو، وصاروا طعاماً للكلاب، ورأينا ذٰلكَ كله بأمِّ أعيننا لا بالنقل ولا التواتر... وسكتنا، فوصلنا إلى ما هو أعظم.

صارت لحى أبنائنا التي يعتزون به فوطاً نسائيَّة تمسح بها دماء حيض المحقِّقات الأمريكيات وسكتنا، رأينا ذٰلكَ وسكتنا فوصلنا إلى ما هو أعظم.

منذ أيام وصلني تقرير مصوَّر عن مساجد في فلسطين تحولت إلى خمارات ونوادي عهرٍ ودعارةٍ، وقد علمنا بمثل ذٰلكَ منذ سنوات، وسكتنا، فوصلنا إلى ما هو أعظم.

منذ سنوات وهم يشتمون النبي العربي **محمد** عليه الصلاة والسلام ويصفونه بالأوصاف البذيئة القميئة والسفيهة وسكتنا، قرأنا ذٰلكَ مراتٍ ومراتٍ ومراتٍ

وسكتنا... وأدبا أقول سكتنا، لأن الحقيقة أنَّ الكثيرين تشققت أفواههم فرحاً ومتعة بمسلسل الإساءات لهذا إلى مقدَّساتنا..!!

سنجد اليوم يقول: وما القرآن إذا فعلوا فيه ما فعلوا؟ إنه نصف كيلو ورق، وهناك الكثير الكثير من النسخ...

هل سننتظر لهذه الإجابة؟؟

أم سنسكت لننتظر ما هو أعظم؟

الجمعة ١/٤/٢٠٠٥م.

الفصل الثالث والعشرون

وصار خليج العرب فارسياً

منذ خمسة عشر وخمسمئة سنة تماماً ضاعت الأندلس.

ضاعت الأندلس؟!!

ما لهذا الكلام السخيف؟

ومن قال بأن الأندلس عربية حَتَّى نقول بأنَّ الأندلس ضاعت من أيدي العرب؟

اعتراضٌ جميلٌ قويٌّ شديدٌ عنيفٌ...

ولَكنَّهُ للأسف اعتراضٌ سخيفٌ. أقول اعتراض سخيفٌ ليس لإيماني بأنَّ الأندلس أرضٌ عربيَّةٌ خسرها العرب، ولَكنَّ لأنها جنَّةٌ صنعها العرب وضيعوها بخلافاتهم واختلافاتهم وصراعهم مع بعضهم لمصلحة أعداء الأمة.

أقول اعتراض سخيفٌ لأنَّ الجزائر بعيدةٌ عن فرنسا بعد الأرض عن السَّماء وتقول فرنسا، ورُبَّما ما زالت تؤمن بذلكَ، أن الجزائر أرضٌ فرنسيَّةٌ أو جزءٌ من فرنسا. ليس فرنسا وحدها، إسبانيا تحتلُّ كلَّ الجزر المغاربيَّة وتقول إنها جزءٌ من إسبانيا على الرَّغْمِ من بعدها الهائل عن الأراضي الإسبانية وقربها الملاصق للمغرب... هٰذه إسبانيا يعني الأندلس سابقاً.

هل نعد أمثلةً أخرى مشابهةً؟

على أيِّ حالٍ ضاعت الأندلس وطارت ولم تعد جزءاً من حضارة العرب ولا تاريخهم.

ضاعت فلسطين ولم تعد عربية.

وقد يخرج أكثر من متفزلك ويحاول الاعتراض. لن نقف عند هٰذه الاعتراضات، فحكايتنا مع هٰذه الاعتراضات في القضية الفلسطينية طويلةٌ وليس هٰذا مكانها.

وضاعت بعدها دولة عربيَّةٌ مُحيَ ذكرها محواً كاملاً من التَّاريخ، الدولة العربية التي كان لها علم ونشيد في أوائل الخمسينيات من هٰذا القرن. وكان اسمها بلوشتان أو بلوخستان. وفجأة تقاسمتها الهند وإيران والباكتسان وزال حضورها وذكرها من كل المحافل الدولية حَتَّى من الثقافة العربية.

ضاعت بلوشتان التي اسمها على اسمها القبائل العربية التي تسكنها وتشكل أغلبيتها قبائل البلوش. وهي امتداد لعربستان.

ثمَّ ضاعت إريتيريا.

ضاعت إرتيريا؟!

نعم ضاعت. طوال عمرنا ونحن ندرسها في كتب الجغرافيا. وخريطتها جزءٌ أساسيٌّ من خريطةِ الوطن العربيِّ. ودعمنا نضالها للتحرر من الاحتلال الأثيوبي. وفجأة عندما نالت استقلالها بنضالنا ونضال أهلها لم تعد ترسم مع خريطة الوطن العربي، ولم تنضم إلى جامعة الدول العربية، ولم يسأل أحدٌ لماذا؟ ولم تفكر دولة عربية في متابعة الخبر والموضوع، ولم يفكر المثقفون العرب الفطاحل ولا القوميون الأكابر في ضياع هذه الدولة وخروجها من خريطة الوطن العربي!!!

أيها القوميون أين أنتم؟ لماذا لم تسألوا؟ لماذا لم تثيروا الموضوع؟

قوميون كاذبون.

على أيِّ حالٍ.

ما أسهل ضياع الدُّول العربية على العرب!!!

إذا كان ضياع الدول سهل علينا فهل نتحدث في الجزر والأقاليم التي استولت عليها الدول المجاورة للدول العربية؟

كم ضاعت قبل ذَلكَ كثيرٌ من الأقاليم بَيْنَ أيدي الدول المحيطة بالدول العربية. ليس من المبالغة أبداً القول إنَّهُ لا توجد دولةٌ عربيةٌ إلا ولها أجزاء محتلةٌ من قبل دولٍ مجاورةٍ. وإن وجد استثناءٌ فهو استثناء.

اليوم ضاع اسم الخليج العربي. أقول اليوم ضاع اسم الخليج العربي. لقد قرَّرت إيران أن تعلن تسميته الخليج الفارسي. رُبَّما هي قديماً تفعل ذَلكَ، ولَكنَّهُا اليوم تعلن ذَلكَ رسميًّا، وتحتج على تسميته بالخليج العربي، وتسعى لتكريس ذَلكَ دوليًّا.

فليهنأ حكام الخليج بهٰذا الاسم الجديد للخليج العربي.

الخليج عربيٌّ بكل ما تحمل الكلمة من معنى فهو من كلِّ أطرافه وجوانبه محاطٌ بدولٍ عربية. الغربية منها يقال إنها مستقلة وهي العراق والكويت والسعودية وقطر والبحرين وعمان والإمارات العربيَّة... سبع دول عربية مستقلة تحيط بالخليج من الجانب الغربي. ودولتان عربيتان تحتلهما إيران تحيطان بالخليج العربي من الجانب الشَّرقي. ومع ذَلكَ تعلن إيران بجرأة بالغةٍ تسمية الخليج العربي بالخليج الفارسي. ولا تستطيع سبع دول مستقلة أن تدافع عن الاسم.

حَتَّى اسم الخليج العربي صرنا عاجزين عن الدفاع عنه على الرَّغْمِ من كونه عربيًّا، وكون الأرض المحيطة به كلها عربيَّة.

إن هٰذه الخطوة الإيرانية غير المفاجئة جاءت نتيجةً مباشرة لتهالك العرب والأنظمة العربية واهترائها وعجزها عن الدِّفاع عن قضايا أكبر بكثير من تسمية الخليج العربي بالخليج الفارسي. ولٰكنَّ الخطورة الأكبر من ذَلكَ كلها أنَّ هٰذه الخطوة الإيرانيَّة ليست استفزازيَّة ولا تهالك على الاسم بقدر ما هي تعبيرٌ عن بداية مشروع إيراني وحضورٍ إيرانيٍّ مختلفٍ في المنطقة.

من الخطأ القول إنَّنا لا ندري إن كان لإيران مطامح ومطامع في لعب دور إقليمي في المنطقة. فإيران في توق إلى إعادة أمجادها الفارسيَّة. ولا نبوح بسرٍّ إذا قلنا إنَّ إيران ترى أنَّها الأحق باحتلال المنطقة العربية والسَّيطرة عليها بدل أمريكا، ولذَلك لا نستبعد أن تقوم لاحقاً بترويج أفكار تخدم هٰذا المشروع من قبيل أنَّ العراق جزءٌ من إيران قديماً، أو أنَّ الكويت أو الإمارات أو قطر جزء منها... أو رُبَّما كلها جزءٌ من الإمبراطورية الفارسيَّة.

لا نُغفِل هنا أبداً أنَّ الحقد الفارسي على العرب لم يتوقف منذ إسقاط الإمبراطورية الفارسيَّة. فالفرس على الرَّغْمِ من دخولهم الإسلام فإنَّهُم منذ انهيار

إمبراطوريتهم وهم يكنُّون الحقد البالغ على العرب، وربَّما على الإسلام أيضاً. ويرون أنَّ سقوط إمبراطوريتهم على يد العرب أو المسلمين أمرٌ لا يمكن أن يغتفر ولا بُدَّ من الثَّأر له.

لذلك فإنَّ الموقف الإيراني من العرب غيرُ مرتبطٍ بالموقف الطَّائفي، ولا علاقة له به. إنَّهم عندما كانوا سُنَّةً خرجت منهم الحركة الشُّعوبيَّة التي تقزِّم العرب وتقلِّل من شأنهم وقيمتهم. وعندما تحولوا إلى شيعةٍ وأعلنوا انتماءهم إلى آل البيت لم يتغيَّر حقدهم على العرب وحرصهم على الثَّأر من انهيار إمبراطوريتهم على أيدي العرب والمسلمين.

كلُّ ذلكَ يعني أنَّ المشروع الفارسي قادمٌ بقوَّة، وإنَّما هو يتحيَّن الفرصة المناسبة للانقضاض على المنطقة. وما المجاهرة بإعلان اسم الخليج الفارسي إلا خطوة أولى على طريق هٰذا المشروع.

العرب حكومات وشعوباً نيام... نيام.... نيام...

فمتى يستيقظون؟

كم مرَّةٍ سألنا هٰذا السُّؤال وما من مستيقظ يسمع النداء!!

فجَّرنا القنابل كلها ولم يستيقظوا!!!

فلا حول ولا قوة إلا بالله.

دمشق في ٣/١/٢٠٠٥م

من كتب المؤلف المنشورة

- أعاجيب السياسة الأمريكية؛ مقالات سياسية . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٧م.
- آفاق التغير الاجتماعي والقيمي؛ الثورة التقانية والتغير القيمي . الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٥م.
- الأمم المتحدة بين الاستقلال و الاستقالة و الترميم . مكتبة دار الفتح . دمشق . ١٩٩٣م.
- أَميرة النَّار والبحار (شعر) – دار الأصالة للطباعة . دمشق . ١٩٩٧م.
- أَنا صدى الليل (شعر) . دار الأَصالة للطباعة – دمشق – ١٩٩٥م.
- أنا لست عذري الهوى (شعر) . دار الأصالة للطباعة . دمشق . ١٩٩٩م.
- أنا والزمان خصيمان . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٥م.
- أنا وعيناك صديقان (شعر) دار الأصالة للطباعة . دمشق . ٢٠٠١م.
- أُنشودة الأَحزان (شعر) – دار الأصالة للطباعة – دمشق . ١٩٩٦م.
- انهيار أسطورة السلام؛ مصير السلام العربي الإسرائيلي . ط١: مكتبة دار الفتح . دمشق . ١٩٩٦م. ط٢: دار الفكر الفلسفي . دمشق . الطبعة الثانية ٢٠٠١م.
- انهيار الشعر الحر – دار الثقافة – دمشق (ط١) ١٩٩٤م. ـ دار الفكر الفلسفي . دمشق – (ط٢) ٢٠٠٣م.

- انهيار دعاوى الحداثة ؛ الحداثة ضرورة تاريخيَّة لا خيار سياسي – دار الثقافة – دمشق – ١٩٩٥م.
- انهيار مزاعم العولمة؛ قراءة في تواصل الحضارات وصراعها . اتحاد الكتاب العرب . دمشق . ٢٠٠٠م.
- بشرية عمياء عوجاء؛ مقالات سياسية . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٩م.
- بديع الكسم . وزارة الثقافة . دمشق – ١٩٩٤م.
- تفجيرات أيلول وصراع الحضارات . دار إنانا . دمشق . ٢٠٠٣م.
- تمهيد في علم الجمال . جامعة تشرين . اللاذقية . ٢٠٠٧م.
- الحداثة بين العقلانية واللاعقلانية . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ١٩٩٩م.
- الدخيل على المصلحة (قصص) – ن . م – دمشق – ١٩٩٣م.
- دفاع عن الفلسفة ؛ الفلسفة ثرثرة أَم أُمُّ العلوم ؟ – دار الأصالة للطباعة . دمشق . ١٩٩٤م.
- شظايا على الجداران (خواطر) دار الأصالة للطباعة . دمشق . ٢٠٠٧م.
- العرب؛ جثة تنهشها الكلاب ؛ مقالات سياسية . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٩م.
- عفيف البهنسي والجمالية العربية . وزارة الثقافة . دمشق . ٢٠٠٨م.
- عالم مجنون؛ المضحك المبكي في السياسة الأمريكية . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٨م.
- علم الجمال المعلوماتي: نحو نظريَّة جديدة . دار الأصالة للطباعة . دمشق . ١٩٩٤م.

- عـواد مـن دون عـود (قصـص) – دار الأصـالة للطباعـة – دمشـق – ٢٠٠٧م.
- غاوي بطالة (قصص قصيرة) – دار الأصالة للطباعة . دمشق . ١٩٩٦م.
- فلسـفة الفـن و الجمـال عنـد ابـن خلـدون – دار طـلاس – دمشـق – ١٩٩٣م.
- فلسفة الفن والجمال عند التوحيدي . وزارة الثقافة . دمشق . ٢٠٠٦م.
- فلسفة الأخلاق عند الجاحظ . اتحاد الكتاب العرب . دمشق . ٢٠٠٥م.
- في انتظار حمقاء (قصص قصيرة) . دار الأَصالة للطباعة . دمشق . ٢٠٠٥م.
- فيلا وعلبة حلاوة (قصص قصيرة جداً) – دار الأصالة للطباعة – دمشق – ٢٠٠٧م.
- قراءات في فكر بديع الكسم . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ١٩٩٨م.
- قراءات في فكر عادل العوا . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠١م.
- قضايا الفكر العربي المعاصر . جامعة تشرين . اللاذقية . ٢٠٠٧م.
- كيف ستواجه أمريكا العالم؟ . دار السلام للطباعة . دمشق . ١٩٩٢م.
- لا تعشقيني (شعر) – دار الأصالة للطباعة . دمشق . ١٩٩٤م.
- لبنان والمشروع الأمريكي؛ قراءة في الأزمة اللبنانية وتداعياتها . دار إنانا . دمشق . ٢٠٠٥م.
- لبنان بَيْنَ حربين؛ الأزمة اللبنانية بَيْنَ الداخل والخارج . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٧م.
- مختارات من دارسي التراث العربي . وزارة الثقافة . دمشق . ٢٠٠٧م.
- المدخل إلى عصر النهضة العربية . جامعة تشرين . اللاذقية . ٢٠٠٦م.
- المذاهب الاقتصادية الكبرى . جامعة تشرين . اللاذقية . ٢٠٠٨م.

- المذاهب الجمالية . جامعة تشرين . اللاذقية . ٢٠٠٦م.
- مكيافيليَّة ونيتشويَّة تربوية: نحو سلوك تربوي عربي جديد . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ١٩٩٨م.
- من رسائل أبي حيان التوحيدي . وزارة الثقافة . دمشق . ٢٠٠١م.
- من يسمم الهواء؛ ظاهرة السرقة في عالمي الفكر والأدب . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٥م.
- الموت من دون تعليق (قصص قصيرة جداً) – دار الأصالة للطباعة . دمشق . ١٩٩٤م.
- النظام الاقتصادي العالمي الجديد . مكتبة دار الفتح . دمشق . ١٩٩٣م .
- النظام الاقتصادي العربي؛ واقع ومشكلات ومقترحات . دار إنانا . دمشق . ٢٠٠٥م.
- نهاية الفلسفة . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ١٩٩٩م.
- هؤلاء أَساتذتي : من رواد الفكر العربي المعاصر في سوريا – دار الثقافة – دمشق – ١٩٩٤م.
- هؤلاء أَساتذتي : من رواد الفكر العربي المعاصر في سوريا (ط٢) – دار الفكر الفلسفي – دمشق – ٢٠٠٣م.
- همس الهوى (خواطر) دار الأصالة للطباعة . دمشق . ٢٠٠٨م.

فهرس

- **الإهداء** ٥
- **مقدمة الكتاب** ٧
- **الفصل الأول:** مشكلتنا هي نحن..... ١٣
- **الفصل الثاني:** أشد العجز ١٧
- **الفصل الثالث:** العالم جميل (بلا) عرب..... ٢١
- **الفصل الرابع:** العرب يعكرون المزاج..... ٢٥
- **الفصل الخامس:** حَتَّى يحافظ العرب على سمعتهم..... ٣١
- **الفصل السادس:** ماذا الذي ينتظره العرب أكثر من ذلك؟..... ٣٧
- **الفصل السابع:** ماذا ينتظر العرب أكثر حَتَّى ينتفضوا؟..... ٤١
- **الفصل الثامن:** الواقعية واللاواقعية..... ٤٥
- **الفصل التاسع:** بَيْنَ الحرية والإرهاب..... ٤٩
- **الفصل العاشر:** على واشنطن أن تأمر وعلى العرب الطاعة ٥٥
- **الفصل الحادي عشر:** العرض عنصر فائض في نظر الغرب ٦١
- **الفصل الثاني عشر:** مقتل عربي آخر..... ٦٧
- **الفصل الثالث عشر:** فاشية الإسلام..... ٧٣
- **الفصل الرابع عشر:** تنامي ظاهرة الإساءة للعرب والمسلمين ٧٩
- **الفصل الخامس عشر:** العرب مرتاحون لتدنيس القرآن..... ٨٧

■ **الفصل السادس عشر**: مصر تكمل جدار الفصل العنصري ٩٣
■ **الفصل السابع عشر**: عملية القدس ومحنة العقل..... ٩٧
■ **الفصل الثامن عشر**: بَيْنَ الأردن وبلغاريا..... ١٠٣
■ **الفصل التاسع عشر**: اعتقال البشير واعتقال الضمير..... ١٠٧
■ **الفصل العشرون**: مذكرة اعتقال البشير والصمت العربي ١١٣
■ **الفصل الحادي والعشرون**: ماذا بعد مذكرة اعتقال البشير؟ ١١٩
■ **الفصل الثاني والعشرون**: أمريكا تحفر قبرها الآن ١٢٥
■ **الفصل الثالث والعشرون**: وصار خليج العرب فارسيًّا..... ١٣١
■ **صدر للمُؤَلف** ١٠٩
■ **المحتويات**..... ١١٣

دار الفكر الفلسفي
دمشق 2009م

ARAB IS CADAVER EATEN BY DOGS

POLITIACL PAPERS

BY

Ph.D. EZZAT AS-SAYED AHMAD

Published By

Dar Al- Feker Alphalsphy

Damascus.2009

Emil: mulhamezzat@gmail.com

ARAB

IS CADAVER EATEN BY DOGS

POLITIACL PAPERS

BY

Ph.D. EZZAT AS-SAYED AHMAD

الدكتور عزت السيد أحمد

مقالات سياسية

العرب جثة تنهشها الكلاب

إنَّ ما يعبِّر عن حال العرب اليوم هو مرضهم بقصر النظر العيني والعقلي والقلبي؛ فلا هم يفرحون ولا هم يحزنون ولا هم يفهمون!!!

يضحكون ويقهقهون في التعازي والأحزان والمخازي، ويندبون في الأفراح والليالي الملاح